كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

دور السياق في نفي الترادف في القرآن الكريم

(ألفاظ يوم القيامة نموذجاً)

إعداد

د/ سحر فتحي حجازي

مدرس البلاغة و النقد
كلية الآداب – جامعة حلوان

(العدد السابع والثلاثون الجزء الأول ٢٠١٨م)

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تبيان أهمية السياق في نفي الترادف في النص القرآني ، انطلاقا من مستويي الصوت و الدلالة ، اللذين يمثلان الجانبين المادي والعقلي للغة .

وذلك حيث تتكامل العلاقة بين الصوت و الدلالة ، إذ تستدعي الدلالة نوعا بذاته من الألفاظ ، كما تعبر الأصوات عن نوع معين من الدلالات .

ومن ثم يستهل البحث بمهاد نظري تأسيسي نقوم من خلاله بدراسة ظاهرة الترادف في القرآن الكريم بين الإنكار والإثبات، كما نقوم بدراسة العلاقة بين السياق و الدلالة ، ثم نتوقف لدى لفظ القيامة في القرآن الكريم .

أما الدراسة التطبيقية فتشمل دراسة : ألفاظ القيامة التي اتفقت صيغتها الصوتية وتباينت دلالاتها، وألفاظ القيامة التي تقاربت دلالاتها واختلفت أصواتها.

وذلك حيث تنقسم الفاظ القيامة من حيث الصيغة الصوتية إلى أقسام لكل منها مميزاته الخاصة فمن إشباع المد وإتباعه بالتضعيف ، إلى المقطع المفتوح ، إلى المقطع المغلق ، إلى العدول الصوتي بالحذف .

أما من حيث ألفاظ القيامة التي تقاربت دلالاتها و اختلفت أصواتها فقد تعرضت الدراسة للفروق الدلالية بين ألفاظ : يوم البعث/ النشور/ الخروج ، يوم الدين/ يوم الحساب ، الساعة / يوم الآزفة ، اليوم الأخر / يوم عقيم ، يوم عسر/ يوم عسير .

Summary

This study aims to show the importance of the context in the denial of synonymy in the Quranic text. Based on the levels of sound and significance. Which represent the material and intellectual aspects of the language?
This where the relationship between the sound and significance is integrated. As the significance calls for a certain kind of expressions, and the sounds express certain kind of significances.
Thus the research start with a constructive theoretical flat land, thru it we ill study the phenomenon of synonymy in the Holy Quran between denial and proving. We will also study the relationship between the context and the significance; we will then stop at the expression of resurrection in the Holy Quran.
As for the practical study it will include the study of: the expression of resurrection with concurring vocal wordings and different significances, and the expressions of resurrection with close significances and different sounds.
As the expressions of resurrection are divided according to the vocal wording to divisions each has its distinctive characteristics like the fulfillment of the elongation o following it with doubling, to the opened syllable, to the closed syllable, to the vocal refraining by aphaeresis.
As for the expressions of resurrection with close significances and different sounds, the study has dealt with the differences of significance between the expressions:
Yaum Al Baath \ Al Noshour \ Al Khourouj , Yaum Al Deen \ Yaum Al Hessab , Al Saa \ Yaum Al Azefa , Al Yaum Al Akhar \ Yaum Akeem , Yaum Assar \ Yaum Aseer .

هذه الدراسة هي محاولة للانفتاح على القرآن الكريم باعتباره نصا واحدا متماسكا منسجما يؤدي وظيفة تواصلية أساسية ، مبعثها تحقيق عبادة التوحيد وما يتعالق بها من عبادات ، حيث تستمد البنية الدلالية لهذا النص حضورها من خلال تشكيل بنية مفردات خاصة .

ويندرج الحديث عن السياق عبر البنية الدلالية للقرآن الكريم ، حيث لا يمكن أن يتم تحليل نصي كامل إلا أن يجوز المستوى الدلالي، تزامنا مع مستويي التركيب والتداول .

وعلى مستوى نصية هذا الكتاب ، يعد الترادف – بالمعنى الضيق – لأسماء القيامة أحد أسباب الربط بين أجزاء النص القرآني بالإحالة بين الوحدات المعجمية ، حيث تتحول هذه الأسماء علامات ضمن مكونات النص متطابقة الإحالة ، مما يعني تناظر النص واضطراد مضمونه .

على أن الدراسة تتحرى البحث في دور السياق في نفي الترادف بين أسماء القيامة في القرآن الكريم ، هذا الترادف، الذي ينبعث من الحقل الدلالي الواحد ، ومن دوائر الاستعمال التي تنسج حول أسماء القيامة محاولة حصرها في قيمة واحدة عبر منظورواحد ، إذ تجعلها جميعا أدوات الضغط والتأثير الوجداني القائم على استثارة نوازع المتلقي النفسية : كالخوف والشفقة والرغبة والرهبة وغيرها من النوازع .

وإرادة النص القرآني لهذا اللون من التأثير أمر بدهي أولي ، ولكن قراءة النص تكشف عن إرادات أخرى عديدة توخاها هذا النص ، دل عليها بتنوع أسماء يوم القيامة ، وتعدد صيغها الصرفية و الصوتية ، بحيث لم يصح أن يوضع اسم

من الأسماء في موقع الاسم الآخر ، إذ يستعمل اللفظ في النص القرآني بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر مهما كان مقاربا له في المعنى ، وذلك في إطار تعدد علاقات الكلمات في اللغة العربية ، ومنها العلاقة الصوتية والمعنوية الدلالية وغير ذلك من العلاقات .

ذلك أن الألفاظ في النظم القرآني تتسم بدقتها المتناهية ، و تنسجم تمام الانسجام مع السياق الذي ترد فيه بحيث إذا حاولت أن تستبدل لفظة بلفظة أخرى غيرها ، اختل المعنى ، وانتقص التعبير ، حيث تقع ألفاظ القرآن الكريم " ضمن الأسلوب البياني الرائع ، ونعتقد مؤمنين أن كل لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته و فيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته " [1] ؛ إذ إن إعجاز القرآن في بلاغته ، و" مرد البلاغة الكلامية إلى الدقة في مطابقة اللفظ للمعنى ، و إنما السبيل إلى ذلك أن يتسارع إلى الذهن جميع ألفاظ هذه اللغة و ما يسمى مترادفاتها لينتقى منها ألصقها بالمعنى المراد و الصورة المتخيلة " [2].

إن اختيار اللفظ و إحلاله في الموقع المناسب من السياق هو أساس البلاغة والإحسان في البيان، فإن إحدى اللفظتين قد تنفرد في موضع ، و تزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى ، بل تتمكن فيه ، و تضرب بجرانها ، و تراها في مظانها ،

(١) المعجزة الكبرى للقرآن ، محمد أبو زهرة : ١٠٤، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

(٢) من روائع القرآن (تأملات علمية و أدبية في كتاب الله) ، محمد سعيد رمضان البوطي : ١٣٦، موسسة الرسالة ،بيرت ، ١٩٩٦م.

وتجدها غير منازعة في أوطانها ، و تجد أخرى لو وضعت موضعها في محل نفار ، و مرمى شراد، و نابية عن استقرار" [1].

والألفاظ هي وحدات صغرى تشكل النص ، تقودنا دراسة دلالاتها ، وخصائص استعمالها إلى الخروج بتصور واضح عن البنية الكلية للنص ، " و ليس ثمة ما يثير الدهشة أو الغرابة في هذه المكانة التي تنفرد بها الكلمات ، فهي أصغر نواقل المعنى أو أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتصل " [2]، حيث يمتد مفهوم السياق ليشمل الكلمةوالكلمات المجاورة، والعبارات، والعبارات المجاورة، وصولا إلى البنية الكاملة للنص، ومناسبة النص ومقاصده. وعلى ذلك فالسياق هو جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي ، فهو لا يلقي الضوء على الكلمة والجملة فقط و إنما على النص بأكمله ، من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة .

ومن هنا نتبين أن ثمة ما يمنع أن تحل كلمة محل أخرى في سياق معين فتؤدي وظيفتها اللغوية والعقلية والعاطفية أداء كاملا ،وإنما تحل الكلمة محل الأخرى في إطارالمعنى المركزي وحسب .

وعلى ذلك فالمترادفات ليست إلا أنصاف مترادفات أو أشباهها . ذات مدلولات متداخلة ، وما يظن من المترادفات إنما هو من المتباينات التي تكمن تحتها الفروق الدقيقة تبعا للأصل اللغوي .

(١) إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني : ٢٢٠، تحقيق أحمد صقر، دارالمعارف ، مصر ،ط٣، ١٩٧١م.

(٢) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان : ١٩ ، ترجمه و قدم له و علق عليه كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر ، ط١٢، القاهرة.

وفي هذا الإطار تعتمد دراسة السياق موطئا أساسيا ، ومنطلقا رئيسا ينفي إمكان وجود مترادف كامل في اللغة ، عامة ، و في النص القرآني ، على وجه الخصوص ، وذلك عبر مستويات شتى ، لعل من أهمها : الصوت و الدلالة ، ذلك أن "عملية الكلام لها جانبان : أحدهما مادي وهو الأصوات المنطوقة ، والآخر عقلي وهو المعنى المقصود" [1]، والعلاقة متكاملة بين جانبي الصوت و الدلالة ، إذ إن بعض الدلالات تستدعي نوعا بذاته من الألفاظ ، كما أن بعض الأصوات تعبر عن نوع معين من الدلالات ، وعلى ذلك فالصوت يتعلق بالمعنى لأن القوة التعبيرية للكلمة لا تتأتى من معناها وحده بل من طبيعة شكلها الصوتي أيضا [2]، حيت يؤدي تضافر الصوت و الدلالة إلى خلق جو إيقاعي و دلالي له القدرة على الانسجام مع الوظيفة التداولية للخطاب .

وقد تم اعتماد الإطار الإيقاعي هيكلا عاما منظما لمنطلقات البحث ؛ إذ "سميت القيامة بأسماء متقاربة الصدى في إطار الفاعل المتمكن و القائم الذي لا يجحد" [3]،حيث تكرس الصيغ الصوتية لأسماء القيامة خصوصية إيحائية ، وتكتسب الألفاظ بعض دلالاتها ، في سياقها ،من جرس أصواتها .

(١) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان : ٣٧.

(٢) الأفكاروالسلوك (دراسة في الفن الروائي و لغته)،أ .ب. يشترين :٤٥ ، ترجمة حياة شرارة، وزارة الثقافة و الفنون ، العراق ، ١٩٨٧م.

(٣) الكناية في القرآن ، أحمد فتحي رمضان : ٢٩٠، (أطروحة للدكتوراه) ، آداب ، الموصل ١٩٩٥م.

واقتضت طبيعة البحث أن يستهل بمهاد تأسيسي يتوقف فيه لدى محطات ثلاث وهي :

(١) الترادف في القرآن الكريم بين الإنكار والإثبات .

(٢) السياق و الدلالة.

(٣) لفظ القيامة في القرآن الكريم.

ثم تنعقد الدراسة التطبيقية في قسمين اثنين ، يتوقف الأول منهما لدى ألفاظ يوم القيامة التي اتفقت صيغتها الصوتية وتباينت دلالاتها ، بينما يتوقف الثاني عند ألفاظ تقاربت دلالاتها واختلفت أصواتها.

المهاد التأسيسي

(١) الترادف في القرآن الكريم بين الإنكار والإثبات

الترادف لغة يعني التتابع ، جاء في لسان العرب : " وترادف الشيء تبع بعضه بعضا .

والترادف التتابع" [(١)]، وقال الجوهري : " الردف الراكب خلفك " [(٢)]، فالردف هو ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه ، وإذا تتابع الشيء خلف شيء فهو الترادف " [(٣)].

أما الترادف في الاصطلاح لدى الأوائل فهوأن يسمى الشيءالواحد بالأسماء المختلفة ، أو هو" الكلمات التي تدل على معنى واحد "[(٤)].

قال الشريف الجرجاني: "هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[(٥)].

(١) لسان العرب ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي : ١١٤/٩ (ردف) ، دار صادر بيروت ، ٢٠١٠ م.

(٢) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، إسماعيل بن حماد الجوهري :١٣٦٣/٤-١٣٦٤ (ردف) ، دار العلم للملايين ، ط٤ ١٩٩٠م.

(٣) الترادف في اللغة ، حاكم مالك الزيادي : ٣١ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٨٠م .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة،ومسائلها وسنن العرب في كلامها،أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: ٩٦ ،دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٧م.

(٥) التعريفات ، على بن محمد الشريف الجرجاني : ٣٧ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٦٩م.

وقد وضع العلماء المحدثون للترادف حدودا وتعريفات ، فعرفه بعضهم بأنه " ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل بينها في أي سياق "[١]، وقيل فيه إنه :" تلك الألفاظ المختلفة التي تدل على معنى واحد على سبيل الانفراد "[٢]، كما عرف بـ" أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد "[٣]، وقيل :" هو الاتحاد في المفهوم أو الدلالة "[٤].

ويلحظ عدم التساوق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للترادف فإذ ينصرف معناه اللغوي إلى التتابع والتقارب ، ينصرف المعنى الاصطلاحي له إلى الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد ، ولعل هذا ما أدى إلى نوع من التخبط في دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية . يقول حاكم الزيادي : " وقد ثبت لنا أن عدم معرفة الترادف على وجه الدقة والتحديد ، وعدم الاهتداء إلى مفهومه الحقيقي كان ومازال سببا مهما من أسباب الخلط والاضطراب في النظر إلى هذه الظاهرة اللغوية عند أغلب الدارسين "[٥]، ومن ثم فقضية الترادف من القضايا اللغوية التي اختلف العلماء بشأنها ، قدماء ومحدثون ، من ناحية تحديدها ، أو إثباتها .

(١) فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب : ٣٠٩ ، ، مطبعة المدني ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٧م.

(٢) الترادف في اللغة : ٧٢.

(٣) فقه اللغة العربية ، كاصد ياسر الزيدي : ١٦٨ ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧م.

(٤) أبحاث ونصوص في فقه العربية ، رشيد عبد الرحمن العبيدي : ٢٣٤ ،مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٨م.

(٥) الترادف فى اللغة : ٦٥.

وقد أدى الحديث عن ظاهرة الترادف في اللغة إلى الحديث عن الترادف في القرآن الكريم ، حيث ذهب فريق من العلماء إلى إنكار وقوع الترادف في لغة التنزيل ، بناء على الفروق الدقيقة بين الألفاظ ، وكونها وجها من وجوه الإعجاز ووفق هذه الفروق تشكل للنص القرآني معجمه الخاص ، يقول الجاحظ : " وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة ، وكذلك المطر ، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث ... ولا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال "[١]. وعلى هذا فقد استخدم النص القرآني المفردة استخداما خاصا مضيفا إليها دلالات جديدة عبر خصوصية الاستخدام و التداول .

ومثل ذلك ما ذكره الخطابي[٢]،والخطيب الإسكافي [٣]،وما ذكره السيوطي حين قال : " إن كتاب الله لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير اللسان العربي على لفظة أحسن منها لظهر قصور اللسان "[٤].

(١) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ٢٠/١ ، تحقيق عبد السلام هارون ط٣ ، مطبعة دار التأليف ، مصر ،١٩٦٨م .

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (بيان إعجاز القرآن) ، الخطابي : ٢٦ ، تحقيق محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦ م.

(٣) الخطيب الإسكافي و جهوده في بيان إعجاز القرآن ، منذر إبراهيم حسين : ١٤٧، (أطروحة للماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، العراق ، ٢٠٠٠ م.

(٤) ينظر الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي: ١٢٠/٢ ، ط٣ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ،١٩٥١م.

وآراء المحدثين المنكرين لوقوع الترادف اللغوي في النص القرآني ، هي أصداء لما أقره الأقدمون .

تقول عائشة عبد الرحمن فيما ذكرت من أسرار القرآن في اختيار اللفظ : " وسيبهرهم بلا ريب ما بهرني من أسرار له بيانية ، هدى إليها الدرس المنهجي المستشف في اللفظ لا يقوم مقامه سواه ، وفي حرف لا يؤدي معناه حرف آخر... "[1].

وينفي أحمد بدوي وقوع الترادف في القرآن بما لا يقبل تأويلا فيقول : " يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها ، يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة ، تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها ، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها ... ولذلك لا تجد في القرآن ترادفا "[2].

بينما ذهب فريق من العلماء إلى أن الترادف ثابت في اللغة ، وأنه من مزاياها ، ويحتجون لذلك بحشد من المترادفات التي جمعها رواة اللغة لما صار فيما بعد نواة المعاجم الضخمة .

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن : ١١ ، دار المعارف، مصر ، ط٢ ،١٩٦٦م.

(٢) من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي : ٥٧ ، نشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٥ م.

وممن أكد وجود الترادف في اللغة قديما : سيبويه [١]، والأصمعي ، المبرد وقطرب ، وابن الأنباري ... [٢]، و من المحدثين صبحي الصالح و إبراهيم أنيس ... ومن هؤلاء المحدثين من أقر بأن القرآن يحوي بين دفتيه الكثير من الألفاظ المترادفة "[٣]، إذ الترادف ظاهرة لغوية طبيعية في كل لغة نشأت من عدة لهجات متباينة في المفردات والدلالة ، وعليه فالترادف واقع في اللغة المشتركة وفي القرآن الكريم "[٤]، ويضرب إبراهيم أنيس على ذلك أمثلة ، منها : آثر وفضل ، حضر وجاء ، بعث وأرسل ، مثوى ومأوى ، بارئ وخالق ... إلخ [٥].

والحق أنه لاخلاف بين الفريقين في كثير من المسائل التي ذكروها ، وإنما هو اختلاف المنهج الذي اعتمده كل فريق في الحكم على ظاهرة الترادف ، فالفريق الأول أنكر أصالة الترادف في وضع اللغة ، والثاني أقره في الواقع اللغوي ، ولا تناقض بين الرأيين في ذلك .

والتمس المنكرون دقة فروق الدلالة بين الألفاظ ... على حين اكتفى المثبتون بدلالة اللفظين على المعنى العام المتداول بين الناس ، يقول العسكري : "

(١) الكتاب ، سيبويه : ١ /٧-٨ ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٦ م.

(٢) للأصمعي كتاب" ما اختلف لفظه و اتفق معناه "، و للمبرد " ما اتفق معناه من القرآن المجيد"، قطرب ابن الأنباري يجعلان تقسيم سيبويه في مقدمة كتابيهما في الأضداد." الترادف في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق" محمد نور الدين المنجد :٣٠، ١٩٩٧ م.

(٣) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح :٣٢٨ ، المكتبة الأهلية ، دار الشمالي للطباعة ، بيروت ،ط٢، ١٩٦٢م.

(٤) السابق : ٣٤٧.

(٥) في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس : ١٨٠ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٦ ، ١٩٨٤م.

محال أن يختلف اللفظان ، والمعنى واحد ، كما ظن كثير من النحويين و اللغويين . وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عاداته وتعارفها ، ولم يعرف السامعون تلك العلل والفروق وظنوه من ذلك وتأولوا عليهم مالا يجوز في الحكم "(١).

والفريق الأول يعلل حدوث الترادف باختلاف اللغات ، وقد اشترط في منهجه أن يكون الترادف في لغة واحدة ، أما الفريق الثاني فلم يشترط ذلك في منهجه .

كما أنكر المنكرون حدوث الترادف بالأسباب البلاغية كالمجاز والتشبيه والكناية ، لأنها ليست أصيلة في الوضع اللغوي"[٢] ، ومما لاشك فيه أن اختلاف الفريقين مرده إلى غموض المصطلح في أذهان اللغويين قديمهم وحديثهم .

(٢) **السياق و الدلالة** :

جاء في اللسان " ساق الإبل يسوقها سوقا ... وسواق يسوق بهن : أي حاد يحدو الإبل فهو يسوقهن بحدائه...وقد انساقت وتساوقت الإبل إذا تتابعت...والمساقة :المتابعة ...والسياق : المهر ..قيل للمهر : سوق ؛ لأن العرب إذا تزوجوا ساقوا الإبل و الغنم مهرا ...و السياق : نزع الروح، كأن الروح تساق لتخرج من البدن ...والسوق سميت بهالأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات ..يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة ،أي بعضهم على إثر بعض ليس بينهم جارية "[٣] . فالتتابع بين الأشياء هو التساوق ، ولا يكون متتابعا إلا إذا

(١) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري :٢٤، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم ،دار العلم و الثقافة للنشرو التوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩م.

(٢) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق ، محمد نور الدين المنجد : ٧٠.

(٣) لسان العرب : مادة (سوق).

كان له غاية لا بد من وصولها " فكلمة سياق تثير في الذهن معنى لحوق شيء لشيء آخر ، واتصاله به ، واقتفاء أثره ، كما تثير معنى الارتباط والتسلسل و الانتظام في سلك واحد "[1] . وينطلق المفهوم الاصطلاحي للسياق من المعنى اللغوي ، فالسياق هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود ، دون انقطاع أو انفصال ، ويرى اللسانيون أن مصطلح السياق يعني التركيب الذي ترد فيه الكلمة ويسهم في تحديد المعنى المتصور لها "[2] .

أما الدلالة فهي مصدر الفعل دل وتعني الإرشاد و التعريف ، وهي الوسيلة الموصلة لمعرفة كنه الشيء . جاء في اللسان " دله على الشيء يدله دلا ودلالة فاندل : سدده إليه "[3] ، أما علم الدلالة في ظل علم اللغة الحديث فهو دراسة لكيفية استعمال الكلمات ، وبيان علاقتها بالعملية الذهنية .

(١) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم ، عبد الوهاب أبو صفية : ٨٥ ، عمان ، الأردن، ط١ / ١٩٨٩ م.

(٢) معجم اللسانيات الحديثة ، سامي عياد حنا ، و كريم زكي حسام الدين : ٢٨، مكتبة لبنان ، ١٩٩٧ م .

(٣) لسان العرب : مادة (دلل) .

وما بين السياق الذي تأتي فيه اللفظة و دلالة تلك اللفظة ، علاقة تأثير وتأثر ، يقول اللساني مبيه : " الكلمة الحقيقية هي السياق" ، ويقول الفيلسوف الألماني فنجنشتاين : " لا تبحث عن الكلمة بل ابحث عن استعمالها "[1] ، وعلى ذلك فلا يمكن استبعاد السياق من الدراسة الدلالية ، ذلك أنه لا يمكن إدراك المعنى في جملة ما بمعزل عن سياقها ،لأن السياق هو الذي يرشح الألفاظ بما تنطوي عليه دلالات وظلال وإيحاءات ، وينحي غيرها ، فالسياق إذن هو القرينة الفنية الكاشفة للوجه المراد من اللفظة ؛ إذ يستخدم لفظة بعينها دون غيرها لغناها المعنوي الذي تكتنزه .

وقد يحدث أن توجد لفظتان يظن أنهما مترادفتان ، في إطار المعنى المركزي ، على حين أن هاتين اللفظتين يمكن التمييز بين دلالتيهما بدقة بفعل السياق وما يحتويه من القرائن ، مما يشكل للفظة خصوصية معنوية ، ويدفع بها إلى الوجود ، حيث " يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية "[2] .

وبدرجة من الإعجاز، انفرد البيان القرآني بالتمييز بين الألفاظ داخل السياقات ، حيث تم الكشف عن قدر اقتضاء السياق للدلالة فهو الذي يستدعي اللفظة لدلالات معينة تفارق بها نظائرها التي قد يظن أنها لها مرادفة . فليس بمقدورنا

(١) التحليل الدلالي ، إجراءاته و مناهجه ، كريم زكي حسن : ١١٢-١٢٦ ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م.

(٢) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٣٠-٣١ ، تصحيح و طبع و تعليق : محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، ١٩٦١م.

إذن تبين خصوصية اللفظة إلا من خلال السياق ، حيث للسياق تأثير كبير في تشكيل رسالة النص ورسم ملامح وجوده .

ولا شك أن فاعلية السياق هي التي تساعد الكلمة على تجاوز البعد المركزي لصالح دلالات جديدة يولدها وجودها في السياق ، ومن ثم فالسياق ينحرف عن استخدام لفظة إلى غيرها لدلالات خاصة بالمعدول إليها ؛ إذ يعتمد السياق قاعدة للانحراف كونه الأصل الموثوق به في عملية العدول ، حيث يشكل استعمال القرآن الكريم للكلمات بيئة دلالية مستقلة تختص بالسياق الذي وردت فيه.

ولطالما اجتمعت صفات القيامة في السياقات المتقاربة للسورة الواحدة،تبلغ عن انحراف السياق ، وتباين الدلالات، فهي في سورة الحج : الساعة والبعث ، وفي سورة الواقعة : الواقعة والبعث ويوم الدين ، وفي سورة النازعات : الراجفة والرادفة والزجرة و الطامة ، ... وإذا شئنا التمثيل فلننظر بعناية إلى سورة (الحاقة)، وما تواتر فيها من ألفاظ ثلاثة تصف يوم القيامة وهي : الحاقة والقارعة والواقعة ، والتي اجتمعت في سورة واحدة ، مقصدها العام واحد ، إلا أنها اختلفت في دلالاتها .

ذلك أن مقتضى السياق الدلالي هو الذي أناط لفظة " الحاقة" و حتم وجودها وتكرارها في مستهل الآيات "الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ"، باعتبارها الأنسب في ترسيم دلالات السورة والكشف عن مقاصدها، إذ "سورة الحاقة مقصودها تنزيه الخالق ببعث الخلائق لإحقاق الحق وإزهاق الباطل بالكشف التام لشمول العلم للكليات والجزئيات وكمال القدرة على العلويات والسفليات وإظهار العدل بين سائر المخلوقات ... وتسميتها بالحاقة في غاية الوضوح في ذلك وهو أدل ما

فيها عليه "[1] ، (الحاقة) هي أثبت الأشياء وأجلاها فلا كاذبة لها ولا لشيء عنها ، فلا بد من حقوقها فهي ثابتة في نفسها ، ومن إحضار الأمور فيها بحقائقها ، والمجازاة عليها بالحق الذي لا مرية فيه لأحد من الخلق ، فهي فاعلة بمعني مفعول فيها ، وهي فاعلة أيضا لأنها غالبة لكل خصم ، من حاققته أحقه أي غالبته في الحق فغلبته فيه،فهي تحق الحق ولا بد فتعلو الباطل فتدمغه وتزهقه فتحق العذاب للمجرمين والثواب للمسلمين"[2] ، وهذه الدلالات التي جمعها لفظ (الحاقة) تستقيم مع المحور الذي تدور عليه السورة وهو : إثبات صدق القرآن ، وبراءة الرسول صلى الله عليه وسلم مما اتهمه به أهل الضلال من الافتراء على الله ، وذلك في إطار حالة عامة من التكذيب . وبما أن مدار السياق مرتكزعلى فكرة التكذيب فقد اقترنت (الحاقة) بقرينة لفظية في سياق اللحاق وهي قوله تعالى :" كذبت" ،" الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة . كذبت ثمود وعاد بالقارعة ".

ومع تخصيص حالة التكذيب وحصر القضية في قوم ثمود وعاد يعدل السياق عن الحاقةإلى القارعة، وهو انحراف يضيف اسما جديدا لعموم المكذبين " إنها فوق أنها تحق . . فهي تقرع والقرع ضرب الشيء والنقر عليه بشيء مثله. والقارعة تقرع القلوب بالهول والرعب،و تقرع الكون بالدمار والحطم.وها هي ذي بجرسها تقعقع وتقرقع، وتقرع وتفزع . . وقد كذبت بها ثمود وعاد . فلننظر كيف كانت عاقبة التكذيب"[3].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور،برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي : ٣٣٧/٢٠ دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة.

(٢) السابق : ٣٣٨/٢٠.

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٣٦٧٧ ، دار الشروق ، ط ٣٢ ، ٢٠٠٣ م.

ويشير السياق اللغوي بعدوله إلى (القارعة) إلى نوع العذاب الذي لحق بعاد وثمود ، حيث تظهرللسياق دلالة تتشكل " من ظروف أداء المقام وهي التي تشتمل على القرائن الحالية "[1] ؛ إذ لكل مقام مقال ، " ذلك أن العذاب الذي أصابهم من قبيل القرع إذ أصابتهم الصواعق المسماة في بعض الآيات بالصيحة والطاغية"[2] .

وإذ يعنى سياق الموقف بمراقبة العلاقات الزمانية والمكانية فإنه يعدل إلى استخدام لفظ القارعة في إطار المسرح اللغوي، من خلال النظر إلى العناصر المكونة للموقف الكلامي حيث تتناسب (القارعة) مع سياق تكذيب جاء من قوم ذوي قلوب غلاظ ؛ إذ تقرعهم اللفظة بالهول والرعب وتقرع كونهم بالدماروالحطم،ذلك أن عاداكانواأشداء بطاشين جبارين ومثلهم ثمود ، واستخدام القارعة هو الأليق بالسياق لدلالتها علي المباغتة ، ولما يلحق بلفظ القرع من ظلال الإهانةوالتحقير بدلالة اللفظ على الضرب .

وحينما يعاود السياق التركيزعلى عمومية حالة التكذيب والمكذبين فالحاقة تغدو (واقعة) " فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض و الجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة "، فهي الواقعة لأنها لا بد واقعة . كأن حقيقتها وطبيعتها الدائمة أن تكون واقعة،حيث توجه السياق الدلالة النفسية أو العاطفية، ذلك أن الكلمة حينما تنطق يكون لها " جو عاطفي يحيط بها وينفذ بها ويعطيها

(١) اللغة العربية معناها و مبناها ، تمام حسان :٣٣٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢، ١٩٧٩م.

(٢) تفسير التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن عاشور : ٢٩-١١٦، الدار التونسية للنشر ، ١٨٨٤ م.

ألوانا مؤقتة على حسب استعمالها"[١] ، فعدول السياق باستخدام لفظ الواقعة لأنه "اسم ذو إيحاء معين و هو إيحاء مقصود في صدد الارتياب و التكذيب"[٢] .

الفاء في أداة الشرط (إذا) لتفريع ما بعدها على التهويل الذي صدرت به السورة من قوله:" الحاقة ما الحاقة و ما أدراك ما الحاقة" فعلم أنه تهويل لأمر العذاب الذي هدد به المشركون من أمثال ما نال أمثالهم في الدنيا . ومن عذاب الآخرة الذي ينتظرهم ، فلما أتم تهديدهم بعذاب الدنيا فرع عليه إنذارهم بعذاب الآخرة الذي يحل عند القارعة التي كذبوا بها كما كذبت بها ثمود وعاد ، فحصل من هذا بيان للقارعة بأنها ساعة البعث وهي الواقعة"[٣].

ويرشح السياق (الواقعة) بقرائن الألفاظ في سياق السباق " فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة " ، وقرائن الألفاظ في سياق اللحاق" وانشقت السماء فهي يومئذ واهية. والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية "... . ومن هنا فإنه إضافة إلى ما تضفي الواقعة من دلالة إيحائية مقصودة ، فإن قرائن الألفاظ تحتم وجودها ؛ إذ أقفل سياق السورة بالواقعة منظومة التوالي لألفاظ القيامة (صفاتها) إقفالا يرمي إلى إغلاق دائرة الشك والارتياب في وقوعها . حيث يعد " إحلال لفظة في تركيب سياقي دون

(١) اللغة ، فندريس :٢٣٥، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠م.

(٢) في ظلال القرآن :٣٦٧٩.

(٣) التحرير و التنوير : ١٢٦/٢٩ .

أختها توجيها اختياريا لصالح السياق "[١].على أن السياق أثبت بهذا التنويع في ألفاظ القيامة حقيقة القيامة بالحاقة ، وطبيعتها بالقارعة ، وحقق حدوثها بالواقعة .

ويستدعي السياق اللفظة ، لما لجرسها الصوتي من أثر في المشاركة في فهم المعنى لصادر من السياق ، ويقصد بالجرس الصوتي هذا النوع من الموسيقى الذي "يوحي إلى الأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدل عليه الألفاظ "[٢] إذ يكشف تداول اللغة عن أن " الحروف توظف من خلال الطاقة الإيحائية لأجراسها كحوامل للمعنى، وكأدوات تعبير عن ذات قادرة على نقلها بإيقاعاتها وأبعادها الصوتية "[٣] ، فقد يلاحظ أن وظيفة الصوت في السياق تعطي معاني مختلفة ودلالات متنوعة، "وهذا التنوع الصوتي يتجسد في التراكيب التي تعطي بعدا جماليا في الأداء فضلا عن استشعار المعنى بقوة،حيث يتناغم مع الوظائف اللغوية في السياقات المختلفة فينتج ظواهرلغوية في ذهن المتلقي"[٤] .

(١) جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية،سيروان عبد الزهرة الجنابي،حيدر جبارعيدان:٤٥،مركز دراسات الكوفة،العدد٩، ٢٠٠٨ م.

(٢) التوجيه الأدبي ، طه حسين و آخرون : ١٣٧ ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ م.

(٣) أصول قديمة في شعر جديد ، نبيلة الرزاز اللجمي : ١٣٥ ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية ، ١٩٩٥ م.

(٤) دلالة السياق في النص القرآني،علي حميد خضير:٧١(أطروحةللماجستير)كلية الآداب والتربية،الأكاديمية العربية بالدنمارك،٢٠١٤.

ولم يعزب هذا القدر من أهمية الصوت ودوره في السياق عن علماء اللغة الأوائل ، وقد قال ابن جني عن اللغة إنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1] .

وإذا ما حاولنا التماس الجرس أو الدلالة الصوتية في اللفظ القرآني ، أدركنا كم ناسب هذا البيان المعجز بين أصوات ألفاظه ومعانيها ، حيث وظف الجرس الموسيقي للكلمة وما يحيطها من ظلال المعاني في إثراء المدلول ، والإيحاء بالمضمون ربما قبل أن يوحي به مدلول اللغة ، إذ ينفرد النص القرآني بنظرية صوتية متكاملة ، اختيرت فيها الألفاظ المناسبة للحالات ، بحيث لا يمكن قبول غيرها في موضعها ، تبعا لما حدد لها من وظائف .

حيث تتجاوز عبقرية الصوت – في النموذج القرآني – الصوت إلى الكلمة وإلى الجملة ثم الجمل فالآيات ، ليخلق النص القرآني ، داخل سياقاته ، لونا من التجاذب والتجاوب الدلالي بين الألفاظ أول مصادره الصوت .

ولخطورة الصوت بدلالاته وإيحاءاته ، وجملة إثاراته الذهنية و النفسية ، ودقة مناسبة الصوت لدلالات السياق ، نبه جملة من علماء اللسانيات إلى خطورة دوره في نفي الترادف بين الكلمات ، إذ يرى اللغويون المحدثون أنه لا يوجد مترادف تام في اللغة ، لأنه إذا اختلف اللفظان صوتيا فلا بد أن يختلفا دلاليا ، يقول بلوم فيلد :" إننا ندعي أن كل كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنى ثابتا مختلفا عن الأخرى ، وما دامت الكلمات مختلفة صوتيا فلا بد أن تكون معانيها مختلفة كذلك .

(١) الخصائص ، أبو الفتح بن جني : ٣٣/١ ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٥٢ م.

وعلى هذا فنحن باختصار نرى أنه لا يوجد ترادف حقيقي "[1] ، و يقول جارييت : "إن المترادفات

المختلفة للشيء الواحد قد تتفاوت من حيث الجرس و اللفظ "[2] .

(٣) **لفظ القيامة فى القرآن الكريم** :

اعتنى جمع من أهل العلم بذكر أسماء يوم القيامة ، وقد أعدها الغزالي والقرطبي فبلغت خمسين اسما كما يذكر ابن حجر العسقلاني[3]. فـ " في مجال الغيب نرى غزارة في المصطلحات القرآنية التي وصفت اليوم الآخر وما يجري فيه "[4] .

(١) نقلا عن علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، ٢٢٤-٢٢٧ ، مكتبة دار العروبة ، الصفاة ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢ م.

(٢) فلسفة الجمال ، بلاتا جارييت : ١٢٠ ، ترجمة عبد الحميد يونس ، دار الفكر العربي ، بيروت.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن محمد شهاب الدين العسقلاني المصري : ٣٩٦/١١،دار المعرفة،بيروت.

(٤) بحث منشور بعنوان /أثر المصطلح القرآني في التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم الشرعية ، د.أحمد حسن فرحات :٤٧ ، (الأحمدية) مجلة علمية دورية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، العدد٢٠، يونيو٢٠٠٥م.

يقول القرطبي : " وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته ، وكثرت أسماؤه وهذا مهيع كلام العرب ... فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة "[1] .

ويوضح بعضهم السبب في كثرة أسماء القيامة ، والعدول عن اسم القيامة إلى غيرها من الصفات فيقول : " إن كل الصفات التي أغنت عن كلمة (القيامة) والتي بتحقيقها في الخطاب طويت هذه الكلمة، هي من القرآن المكي كلها .

ولما كان لفظ القيامة سواء أكان عربيا أم معربا يفيد معنى (عقليا)(موضوعيا)(مجردا) عن قيام الساعة وقيام الناس أي البعث وكان البعث من أشد قضايا القرآن عرضة للإنكار من قبل المشركين وهم المخاطبون الأساسيون بهذا القرآن المكي كان العدول إلى صفات القيامة – التي ذكرنا– لتفيد من ناحية أولى حكم قيمة عاطفيا ... يخيف ويروع عبرت عنه معجميا ودلاليا صفات الغاشية والقارعة والصاخة والطامة ... ولتفيد من ناحية ثانية حصول القيامة ووقوعها فهي في حكم الواقعة إذ هي واقعة وحاقة وآزفة "[2] .

على أن لفظ القيامة ينفرد بخصوصية في التعبير عن يوم البعث والحساب ، وهذه الخصوصية مرجعها جملة ما يختزن من دلالات وإشارات ، ولذا فهو أكثر ألفاظ هذا اليوم ورودا في القرآن ، إذ ورد سبعين مرة في ثلاثين سورة مكية ومدنية ، وهو من أجلى الأسماء و الصفات لذلك اليوم .

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمورالآخرة ، محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي : ٢١٤ ، طبعة المكتبة السلفية ، المدينة المنورة.

(٢) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة : ١٨٥ ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م.

وأصل القيامة في اللغة : القيام دفعة واحدة ، وذلك حين يقوم الناس من قبورهم "[1] ، فالمعنى المشار إليه بهذا الاسم العلم هو: قيام الناس من قبورهم، ويكون ذلك دفعة واحدة ، لشدة النفخة التي تصعق من في السماوات و الأرض إلا من شاء الله . ولهذا المعنى ينطوي اسم القيامة على كل الأوصاف الواردة في الأسماء الأخرى الدالة على هذا اليوم العظيم "[2] .

وقد ذكرت كتب الوجوه والنظائر لمادة (قوم) معان ودلالات كثيرة ومنها : الوقوف ، وهو نقيض الجلوس (ضد القعود) ، والملازمة والمداومة والثبوت ، والقائم الثابت من البنيان والمقام المكث والإقامة ، والوقوف بين يدي الله تعالى ... وسميت القيامة بذلك لأن الناس يقومون فيها لرب العالمين (يوم يقوم الناس لرب العالمين) [المطففين:٩]، وقيامهم هوبعثهم من موتهم ووقوفهم بين يدي الله تعالى ، وفي المحشر،وفي الموقف الذي تقف فيه الناس بالانتظار [3].

يوم القيامة في السياق القرآني يجئ غاية وحدا في الفعل ، وظرفا للحشر وما في معناه ، وظرفا لكون الأرض جميعا قبضة الرحمن ، وللحساب وما في بابه من إقامة الميزان وإخراج الكتب والإنباء بالأعمال ، ولتبني ما اختلف فيه، ولحمل الأوزار ، وللحكم وما في معناه ، وللمجادلة وما في معنى الاعتذار ، ولتخاصم

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (ق و م) ، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز لسان العرب(ق و م).

(٢) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم (لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعنى والصيغ و الأساليب المتشابهة)، محمد محمد داوود :٤١١، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠٨م.

(٣) بصائر ذوي التمييزفي لطائف الكتاب العزيز ، الفيروزآبادي : ٤/ ٣.٧ ، القاهرة ، ١٩٩٢ م ، و قاموس القرآن ، الدامغاني : ٣٩٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ م.

الكفار وكفر بعضهم ببعض، والشهادة ، وللافتداء وللعذاب ، وللخزي ، وفي معنى مكافأة المؤمنين بالطيبات ، ومعنى الأمر لهم ...

" يوم القيامة " زمان طويل ممتد حتى يفصل بين العباد ، ويدخلون الجنة أو النار ، فظرفية هذا اليوم تحمل التنبيه إلى ظرفية الأمر ، أي له زمن معين معتبر له شأن عظيم في حسابات الأزمان ، ومن ثم فقد ناسب المجيء به بيان ما فيه من دلائل حسية ودواخل معنوية ونفسية ، مما يلازم حالات : البعث ، والحشر ، والحساب ، والفصل ، وما يسفر عنه ذلك من الرفعة أو الإخزاء .

وعلى الرغم من أن من دلالات القيامة (الوقوف)إلا أن السياق القرآني استخدم " القيامة " بديلا عن الوقوف ، مثيرا في النفس هذه الحركة المائجة المضطربة ، التي ينبعث فيها الأموات من أجداثهم ، دالا على ما يعتري النفوس من خوف وقلق وحيرة ، في ذلك اليوم الطويل العظيم ، فالناس قيام كما لو كانوا يحاولون أو يرومون إفلاتا وهروبا .

القاف في "القيامة"صوت يعيد التعبير عن حركية القيام من القبور ، وحالة الإثارة والبعث ، لأنه حرف شديد يوحي بالشدة والقوة والعنف ، ولا شك أن حال المبعوثين ينطوي على اضطراب وقلقلة ، وذلك ما يقدر القاف بخاصة أن يوحي به ويعبر عنه ، كما أنه يعبر عن وقفة القيامة وما يلابسها من تعب وألم ، لأنه من الأصوات التي تعبر عن المشقة والعذاب ، بفعل عمق مخرجه ، حيث إن فى مخرجه مشقة على النفس ، كما أنه انفجاري يحوى بالحركة والاهتزاز، فيرسم ويصور حركة القيام : بعثا ، وانتظارا ، ووقوفا بين يدى الله .

وهو بانفجاره دال على المفاجأة والمقاومة ، اللذان يفضيان إلى أحاسيس بصرية وسمعية من فقاعة تنفجر أو فخار تنكسر "[1] .وهو بهذا الانفجار أقدر على تهيئة النفس للانفجار على الشرور وعلى كل ما يؤذي في هذا الكون ، فيخلق بجرسه القوي نوعا من اليقظة والتنبيه .

يضاف إلى ذلك أن القاف هو الحرف اللهوي المفخم الوحيد في العربية ، فهو بانفراديته يؤشر لخطورة الحدث وخصوصيته .

أما الياء فتعبر عن الدواخل والمشاعر النفسية التي تجتاح الخلائق جراء أهوال يوم القيامة ، حيث يتفاعل شبه الصامت الياء مع الصائت الألف لإظهار حركية القيامة ، إذ يثري المطلق الألف دلالات الكلمة ، لأن المد من أغنى الظواهر الصوتية فهو إطالة في النطق تبرز القيمة الموسيقية للفظة القرآنية ، يزاد على ذلك أن المتلقي يقف على الأثر النفسي وراء الكلمة التي فيها مد ، فيقف على المعاني والآثار النفسية التي يحركها المد .

وقد دل هذا المطلق على الحركة الواسعة الدائبة لأن الألف هو الصائت الأوسع والأخف بين الصوائت ، وهو في(القيامة) صانع دلالة التباطؤ والامتداد ، فليس مجرد حركة إيقاعية موسيقية يتردد صداها بل له غرض معنوي ، فهذا الصوت " الألف " عنصر نغمي إيقاعي يصف طول هذا اليوم ، وأهوال القيامة ، وطول العذاب وتمكنه ، فقد جاء بعد القاف والياء تصويرا لهول هذا اليوم حيث صور المشهد ،وأحدث تنسيقا في الإيقاع .

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس : ١٤٤ ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، ١٩٨٩ م.

والصامت " الميم " في " القيامة " من صفاته الغنة ، والتي تكسب موسيقية وإيقاعا ، و الغنة من علامات قوة الحرف ، لما فيها من تردد موسيقي محبب ، أما الهاء الساكنة فيها فتوحي بالنفس اللاهث المتقطع السريع ، وذلك موافق لمفاجآت يوم القيامة التي ينبهر لها البصر ، وتتقطع لها النفس وتلهث خوفا وهلعا .

الدراسة التطبيقية

القسم الأول

ألفاظ اتفقت صيغتها الصوتية وتباينت دلالاتها

وتندرج تحت هذا الشطر من الدراسة حزم من ألفاظ القيامة ، تتميز ببنائها الصوتي المتفق ، من حيث اختلفت دلالات الألفاظ ، حيث يعد اتفاق إطارها الصوتي وتشكيلها المقطعي إرهاصا بتقارب الوقع الشعوري والنفسي ، ركونا إلى تقارب موحيات الإيقاع والحركة .

إلا أنه على الرغم من هذا الاتفاق في دلالة الحركة والبناء الصوتي الذي يرجح نوعا من الوقع النفسي والمدرك العقلي ، تحتفظ دلالات الألفاظ و أصواتها اللغوية بخصوصية الدور ، حيث يشكل استعمال القرآن للكلمات بيئة دلالية مستقلة .

وتنقسم الألفاظ من هذا الباب إلى أقسام لكل منها مميزاته الصوتية الخاصة كما يبدو فيما يلي :

أولا : إشباع المد وإتباعه بالتضعيف

تتألف البنية الصوتية لمفردات : الحاقة ، والطامة ، والصاخة من محتوى صوتي وزع بين مقطعين صوتيين ، أولهما قائم على المد الطويل اللازم المقدر بست حركات ، وعليه يقع النبر ، وثانيهما قائم على التضعيف الصوتي الذي يعمل على تكثيف الدلالة . حيث تستوحى من هذا الإطار الصوتي مدى شدة الأحداث ، وقوتها ، وأحقيتها بالتأمل.

"وهذه الكلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي والأداء عالي الإسماع ، بما ينتهي إلى الإقرار بمصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي "[١] .

وتنتهي جميعا بالهاء الساكنة ، وهو الصوت الذي اعتاده الإنسان حين الانكسار النفسي والضعف والشكوى ، وهو مناسب لتصوير يوم القيامة لما فيه من أهوال ومشاهد مروعة تبعث على الانهزام والخوف من المجهول ، ومن ثم تحقق الهاء وقعها في النفس وجرسها في الآذان وقوتها في امتلاك المشاعر .كما أن من شأن هذا الإصمات الذي تختم به هذه المفردات أن يوحي بالسكون بعد قيام الساعة ، فكأنها قامت ، وانتهى الحساب ، وقضي الأمر ، وعم الصمت .

وهذه الألفاظ جاءت في مواضعها من النص القرآني بصيغة اسم الفاعل ، وصفا لموصوف مقدر مؤنث اللفظ ، أو بصيغة (مصدر) على وزن فاعلة مثل كاذبة ، أما الهاء في آخرها فهي لا تخلو عن أن تكون هاء تأنيث أو أن تكون هاء مصدر "[٢] ، وذلك يكسب هذه الألفاظ التنوع في المعنى فيجوز أن يكون المراد المعنى الوصفي ويجوز أن يكون المراد بها لقبا ليوم القيامة .

والتعريف فيها تعريف الجنس وفيه "زيادة تهويل بتمييز هذا الجنس من بين الأجناس لأن في استحضاره زيادة تهويل لأنه حقيق بالتدبر في المخلص منه " [٣] ، إضافة إلى ما في التعريف لها من التعظيم .

---

(١) الصوت اللغوي في القرآن ، محمد حسين الصغير : ١٦٩، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،٢٠٠٠م.

(٢) التحرير و التنوير: ٢٩/ ١١١-١١٢.

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، (مادة حقق) : ٤٩/١٠.

(١) الحاقـة :

الحاقة : القيامة ، سميت بالحاقة لأنها حق مقطوع بوقوعها ، ولأنها تحق كل إنسان من خيرأو شر "[١] ، والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التي هي آتية لا ريب فيها"[٢] . قال الطبرسي :" الحاقة اسم من أسماء القيامة ، وسميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور ، وهي الصادقة الواجبة الصدق ، لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع ، صادقة الوجود "[٣] . وقيل سميت بذلك لأن كل إنسان فيها حقيق بأن يجزى بعمله ، وقيل : لأنها أحقت لقوم النار، وأحقت لقوم الجنة "[٤] .

وعلى ذلك فمن أهم دلالات لفظ الحاقة :

- الثبات والوجوب : حق الله الحق أثبته وأوجبه .

- اليقين : حققت الأمر و أحققته كنت على يقين منه . و حققت الخبر فأنا أحقه أي وقفت على حقيقته .

- الظهور : أحق الحق : أظهره وأثبته (ويحق الله الحق بكلماته).

---

(١) الكشاف ، الزمخشري ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض : ٦٠٢/٤ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ١٩٩٨م.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبري : ٣٣٣/٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م.

(٣) فتح القدير للشوكاني :٣٣٣/٥ ، تحقيق وتخريج الأحاديث سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م.

(٤) الصوت اللغوي في القرآن ، محمد حسين الصغير : ١٦٩، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،٢٠٠٠م.

– الغلبة والانتصار : حققت صاحبي فحققته أحقه : أي خاصمته وادعى كل منا الحق فغلبته .

– نقيض الباطل : أحق الرجل إذا قال حقا . وهو محق غير مبطل (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) .

– الجزاء : فقد وصف يوم القيامة بـ"الحاقة" لأنه يحق فيه الجزاء"[1].

وبتأمل تلك الدلالات يكشف السياق عن الحالة الانفعالية التي يريد القرآن بثها في نفوس المكذبين وهي :

– نزع الشك و قطع التردد في تقبل فكرة البعث ، لأنها ثابتة واجبة ، والساعة آتية لا ريب فيها ، و هي في غاية الظهور لمن تدبر .

– أن من يكذب بالساعة محقوق : أي مغلوب لا محالة .

– من ينكرها و يكذب بها سوف يجازى على ذلك الجزاء الذي يستحقه .

– هذا الجزاء الذي سوف يقع عليه هو حق و عدل لا باطل فيه ولا ظلم "[2].

اختص اسم الحاقة – خلافا للطامة والصاخة – بأنه ورد فى مستهل آيات سورة "الحاقة" ، وبأنه جاء مكررا ، ليعلن عن خصوصية تلحق الآيات جميعا ، وهي خصوصية جو التهويل والتفخيم ، فالسياق يبدأ فيلقيها كلمة مفردة لا خبر لها في ظاهر اللفظ : " الحاقة " .. ثم يتبعها باستفهام حافل بالاستهوال والاستعظام بالتجهيل ، وإخراج المسألة عن حدود العلم والإدراك " وما أدراك ما الحاقة " ؟ .. ثم

(١) لسان العرب ، وأساس البلاغة ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن مادة (ح.ق.ق).

(٢) جماليات الترتيب في النص القرآني ، صلاح عبادة :٢٧٤، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٥ ٢٠١٥ م.

يسكت فلا يجيب على هذا السؤال . ويدعك واقفا أمام هذا الأمر المستهول المستعظم ، الذي لا تدريه ، ولا يتأتى لك أن تدريه ! لأنه أعظم من أن يحيط به العلم والإدراك "[1].

واللفظ بجرسه ومعناه يحمل معنى الجد والصرامة والحق والاستقرار . وإيقاعه أشبه شيء برفع الثقل طويلا ، ثم استقراره استقرارا مكينا .رفعه في مده الحاء بالألف،وجده في تشديد القاف بعدها ،واستقراره بالانتهاء بالتاء المربوطة التي تنطق هاء ساكنة "[2].

الحاقة هي التي تحق فتقع ، أو تحق فتنزل بحكمها على الناس . أو تحق فيكون فيها الحق .. وكلها معان تقريرية جازمة تناسب اتجاه السورة وموضوعها ثم هي بجرسها تلقي إيقاعا معينا يساوق هذا المعنى الكامن فيها ، ويشارك في إطلاق الجو المراد بها ويمهد لما حق على المكذبين بها ، في الدنيا والآخرة جميعا "[3].

يسهم في تكريس الإيقاع ما تميزت به السورة من تكرار للفظ " الحاقة " ، حيث ينبئ هذا التكرار عن قيمة أسلوبية بنيوية ، توظف فيها الألفاظ المكررة كعناصر بيانية تكرس لونا من الإيقاع ، يعني وجوده إلحاحا على جهة مهمة من الكلام ، توليها السورة عنايتها .

(١) مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب : ٢١١ ، دار الشروق ، ط ١٦ ، ٢٠٠٦م.وفي الكشاف: ١١٣٤/٢ ،ط بيروت، ٢٠٠٩ م"ما الحاقة والأصل:الحاقة ماهي ؟(أي :أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها.فوضع الظاهر موضع المضمرلأنه أهول لها ".

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٣٦٧٤/٦.

(٣) في ظلال القرآن :٣٦٧٧/٦.

فالتكرار " عامل ترجيع إيقاعي بارز"[1] ، ووسيلة من وسائل البناء الإيقاعي يستخدمه المرسل بدلالتيه الإيقاعية والإيحائية معا . ينبه المتلقي على دلالة مركزية ، فيكشف عن إلحاح نصي على دلالات الكلمة ، واعتبارها عصبا دلاليا نابضا في النص ، حيث يأتي لرسم صورة ، وتحقيق معنى ، وإثارة المتلقي وتوجيه ذهنه نحو الصورة المستحضرة ، لخلق لحظة تكثيف شعوري .

وقد عبرت الآيات من خلال تكرار لفظ " الحاقة " عن شدة موقف الحساب وهوله ، بتضافر مجموعة الأصوات والدوال المتداخلة ، بما توحي به من هول وشدة ، بحيث شكل تكرارها هندسة إيقاعية ، وقاعدة بنائية انطلقت منها الآيات .

الحاء في " الحاقة " صوت حلقي احتكاكي مهموس ، اكتسب – على رقته– أبعادا من الجهرية والشدة ، لوقوعه بين اللام والمطلق الألف المجهورين ، والمماثلة التباعدية لصوت القاف الانفجاري الشديد .

صفات الحاء وعمق مخرجه الحلقي المتكون من أنسجة رقيقة ، دلالة على قدر الوهن والضعف العميق الذي يصيب الناس في وقفة الحساب ، ويوحي ضيق مخرجه بضيق حالهم وقلة حيلتهم حيال الحدث النازل بهم ، كما أن تضافر صفتي الهمس والاحتكاك وعمق المخرج مع ضيقه يحمل الدلالة على دقة الحساب .

(١) البنية الإيقاعية في شعر البحتري ، عمر خليفة بن إدريس :١٩٣،منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا ، ٢٠٠٣ م.

وكون الحاء من الأصوات الرخوة المهموسة عند النطق به تنقبض فتحة المزمار من دون أن تحدث اهتزازا في الوترين الصوتيين ، وهذا ما يجعله مناسبا جدا للتعبير عن خفاء الحق قبل ظهوره "(١).

والقاف الانفجاري المضعف يخلق بجرسه القوي نوعا من اليقظة والتنبيه ، ويدل على الشدة والقوة ، وانفجاريته المضعفة توحي بوضوح الحق وظهوره ، فالحق ، مهما عمي عليه ،ظاهر لا محالة ، واقع لا جدال .

وتكرير القاف المشددة في المواضع المتقاربة في مستهل السورة ، بما فيه من قوة في النطق والسمع ، يدل على شدة الأمر يوم القيامة ، وأن كل إنسان سيوفى حقه كاملا . خاصة في سبقها بالمد الكلمي المثقل الذي ساعد على تأدية معناها خير تأدية .

والهاء الساكنة الأبعد مخرجا من بين الأصوات تتناغم وتكرار المقطع الصوتي المغلق ، تعبر عن القرع ، و ترسم لنا أجواء متتابعة و متلاحقة الصواعق ، مع سبقها بالقاف المضعف . وتربط الصورة السمعية بنفسية المتلقي وتحكم صورة المعنى خاصة وأن الهاء يوحي بالضيق والانكسار"(٢).

ثم لتنظر إلى هذا التداعي الدلالي والصوتي في سياق السورة بين " الحاقة " في مستهلها ، " وحق اليقين " في خواتيمها " وإنه لحق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم " [الحاقة:٥١-٥٢] ، " أي : إن ما في هذا القرآن هو الحق الذي لا يأتيه

(١) علم الأصوات وأصوات اللغة العربية ، روعة محمد ناجي ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، ٢٠١٢م.

(٢) " لفظ صوت الهاء باهتزازات رخوة مضطربة ، أوحى بمشاعرإنسانية من حزن ويأس وضياع".خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس : ١٩٣.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فإذا كان مضمون القرآن حقا ، وإذا كان من خصائص هذا القرآن أنه مذكر ، وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم هو البار الصادق ، فلم يبق مجال لشبهة فيأن هذا القرآن من عند الله عز وجل ، وأن ما يقوله هو الحق الخالص ، فإذا كان مما قاله الإخبار عن الحاقة فإن الحاقة حق خالص "[1].

(٢) الطامّة

وردت (الطامة) في آية واحدة من القرآن الكريم ، وهي قوله تعالى :" فإذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الإنسان ما سعى " [النازعات :٣٤-٣٥] .

والطامة في اللغة من طم الشيء بالتراب و" طم إناءه ملأه "[2] ، وطم الماء يطم طموما : علا وغمر ، وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم يطم ، ويطم الشيء طما : غمره ، وأصله عظم "[3]. والطامة الشيء العظيم ، والطمة من الناس : الجماعة ، وطميم الناس أخلاطهم وكثرتهم ، والطمة الضلال والحيرة ، وطمت الفتنة إذا اشتدت "[4].

(١) الأساس في التفسير ، سعيد حوى: ٦١١٨، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، حلب ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م.

(٢) معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : ماده (ط م م).

(٣) لسان العرب :ماده (ط م م).

(٤) تاج العروس ، الزبيدي : ماده (ط م م).

والطامة : يوم القيامة ، قال ابن عباس : سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع"[1]، فهي : الحادثة ، أو الواقعة التي تطم ، أي تعلو وتغلب بمعنى تفوق أمثالها من نوعها بحيث يقل مثلها في نوعها ، مأخوذ من طم الماء ، إذا غمرالأشياء . وهذا الوصف يؤذن بالشدة والهول إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة ثم بولغ في تشخيص هولها بأن وصفت بـ"الكبرى" فكان هذا أصرح الكلمات لتصوير ما يقارن هذه الحادثة من الأهوال "[2].

ويعرف الزمخشرى الطامة بأنها " الداهية التي تطم على الدواهي ، أي تعلو وتغلب ... وهي القيامة لطمومها على كل هائلة "[3].

هي صفة من صفات القيامة ، و مرحلة من مراحلها ، إذ إنها النفخة الثانية جاءت في سياق الامتنان على الإنسان بخلق ما في السماوات والأرض لأجله ، وما سخر له من النعم ، فإذا جاءت الطامة ،غطت على كل شيء ، على المتاع الموقوت ، وعلى الكون المتين المنظم ،وهذا هو الجانب المادي للطم ، أما الجانب المعنوي فكون يوم القيامة يطم بأهواله على ما عداه من الأهوال ، إذ تعلو الطامة كل هائلة .

(١) تفسير ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير : ٢١٠/٧ ، دار الأندلس ، بيروت ،(د.ط).

(٢) تفسير التحرير والتنوير : ٩٠/٣٠.

(٣) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى : ١١٧٧/٢٩ ،
اعتنى به و خرج أحاديثه و علق عليه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ط٣، ٢٠٠٩ م.

لفظ الطامة مشحون بكل المعاني اللغوية من غلبة و علو على كل شيء ، ومن عظمة ودهاء وهول، وجمع للناس وخلط لهم ، وحيرة وضلال يصيبهم ، وشدة عليهم في ذلك اليوم الرهيب .

و" الطامّة " لفظة مصورة بجرسها لمعناها ، فهي تطم وتعم وتزيد وتطغى . على السماء المبنية ، والأرض المدحوة ، والجبال المرساة ، والليل المغطش ، والضحى المخرج ... إنها تطم على كل شيء . وهي تجئ في إبانها لتطم على هذا كله ، وليطغى مشهدها على تلك المشاهد جميعا "[1]. وبذلك بلغ التعبير بها مستوى فريدا في رسم الصورة وخلق عوامل التأثير فيها ، فنرى الصورة المعبرة الحسية بدلالاتها أو بجرسها أو بهما معا حيث تشكل السياق وفق مقتضى الحال "[2].

الطامة " لفظة ذات دوي و طنين ، تخيل إليك بجرسها المدوي أنها تطم و تعم ، كالطوفان يغمر كل شيء و يطويه"[3]، وثمة وشيجة قوية بين أصوات " الطامة الكبرى " ومدلولاتها ، حيث يومئ كل صوت ويشير إلى دلالة خاصة ، فيجسد شكل المعنى ، ليغدو الصوت شفافا مصورا .

فإذا تأملنا أصوات الكلمة وجدنا صوت الطاء والميم المجهورين الشديدين تعبيرا عن هول ذلك اليوم فنشعر بحركة الطم المناسب لهول وقوة وشدة يوم القيامة ونكاد نشعر بدوي وطنين ، حيث تعبر الأصوات بإيحاءاتها عن صورة ذلك اليوم

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات و السور : ٣١٩/٨.

(٢) التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية ، شفيع السيد : ١٤٣ ،مكتبة الشباب ، ١٩٧٧م.

(٣) الظاهرة الجمالية في القرآن ، نذير حمدان : ٢٦ ،دار المنارة ، جدة ، السعودية ،ط١ ،١٩٩١م.

المروعة ، فيغدو الإيقاع الصوتي للفظة مرآة عاكسة للموقف. من خلال الطاء الانفجاري المقلقل ، حيث الانفجار أكثر وضوحا في السمع من الاحتكاك ، والميم المائع الرنان ، الذي يوسم بشبه الحركة لقربه في الوضوح الصوتي والجهر من المطلقات . إذ يتمتع بقوة إسماعية عالية .

يقول عبد الفتاح لاشين في معرض حديثه عن نفي الترادف وإمكان وضع الصاخة في موضع الطامة في موضعها من سياق سورة النازعات :" ذلك لأن اسم [الطامّة] أرهب وأنبأ بأهوال القيامة . لأنها من قولهم : طم السيل ، إذا علا وغلب ، فقد طمت على كل شيء وغطت على كل موجود ... فلما كانت [الطامّة] أبلغ في الإشارة إلى أهوالها ، خص بها أبلغ الصورتين في التخويف والإنذار ، وذلك لأن سورة النازعات بنيت على التخويف والترهيب ، فابتداؤها وختامها وما بينهما تخويف وترهيب"(١).

الطاء بإطباقه يمثل حالة الشمول والإحاطة والإطباق ، ويناسب الغلبة والعلو ، ويمنح حالة من الترقب والخوف من شمول العذاب .

كما أنه يعكس الأصوات الناجمة عن حركة الطم ، لكونه تفخيم للتاء الرقيقة " وعندما ينفخ في الرقيق ويضخم ، لا بد أن نحصل منه على ما هو مجوف كالطبل . وهكذا كان صوته أشبه ما يكون بضجة الطبل "(٢).

عبر مجاورة الطاء والميم ، يستمد الإيحاء بثقل هذا اليوم ، حيث الطاء الصوت المفخم الشديد المنبور الممتد المستطيل بالمطلق الألف ، والميم الذي

(١) من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة) ، عبد الفتاح لاشين : ١٥٩، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٨٣م.

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس : ١١٩-١٢٠.

تنطبق في نطقه الشفة على الشفة ليماثل الأحداث الطبيعية التي فيها السد والانغلاق "[١].

اقتران الطامة بالكبرى ، يعكس حالة تضخيم واتساع ، ذلك أن الكاف مهموس شديد " إذا لفظ بصوت عالي النبر وبشيء من التفخيم والتجويف ، فإنه يوحي بالضخامة والامتلاء والتجميع"[٢]، يقول ابن سينا عنه : " إنه قد يسمع من وقوع جسم صلب كبير ، على بسيط آخر صلب مثله "[٣] ، وهو صوت الاحتكاك الذي يوحي بالخشونة والحرارة والقوة والفاعلية . يزيد من إيحاء الكاف صوت الحركة القصيرة "الضمة " وما يدل عليه من القوة ، متضامنا مع إيحاء الكاف وتجسيده لأحداث توصف بالشدة والعنف .

ويصبغ الباء ، الانفجاري المجهور المقلقل ، اللفظ بصبغة إضافية من القوة والصرامة . وقد ساعد صوته على إبراز القيمة الدلالية للأصوات التي تختم بالراء الممتدة ، حيث تعيد تكرارية الراء على الأذهان قراءة الحدث وتجسده . بينما يضفي المصوت الألف شعورا بضخامة الحدث .

وهذا الصائت يفضي إلى فضاء من الدلالات العميقة التي تحملها هذه الوحدة إذ تقوم سمة الأمامية فيه بترسيخ دلالة التقدم لأن اللسان في الألف يتقدم نحو الأمام "[٤]، بينما ترسم سمة الانفتاح فيه حالة الانفتاح الحدثي ، حيث تنقل قوة

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس : : ٧٢.

(٢) السابق : ٧٠.

(٣) رسالة أسباب حدوث الحروف ، أبو علي الحسين بن سينا : ٩٣-٩٧ ، تحقيق محمد حسان الطيان ، ويحيى مير علم ، دمشق ، مجمع اللغة العربية . (د.ت).

(٤) مدخل في الصوتيات ، عبد الفتاح ابراهيم : ١١١ ، دار الجنوب ، تونس.

إسماعه العالية فاعلية الحركة ، ليناسب هذا الصائت حالات الحركة والسمع والمشاهدة . ثم إننا إذا أنعمنا النظر في بنائية الألفاظ المؤثرة بحكم صلتها بالمعاني المثيرة المحكومة بمقتضى السياق الواردة فيه ، وإلى التوزيع الإيقاعي لسورة النازعات ، نجد كثيرا من عناصر الربط الدلالي والصوتي داخل الوحدات اللسانية ، بل إننا نعثر على شبكة دلالية وموسيقية موزعة داخل مفاصل السورة تعبر عن المضمون والمقصد .

فـ " يوم يتذكر الإنسان ما سعى " ، وهو ما ورد في سياق المقطع عقب ذكر الطامّة الكبرى مباشرة ، " فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ". يحيل إلى ما ذكر من أعمال البشر في الآيات ، ويعقد علاقة دلالية مباشرة بين " طغى " و" الطامّة " .

والطغيان : إفراط التكبر "[1] ، و" مجاوزة الحد في المكروه مع غلبة وقهر"[2]، وطم : كثر حتى عظم أو عم . فلأجل ما ورد من نموذج الطغيان البشري ، عامة ، في سياق اللحاق " فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى " [النازعات:٣٧-٣٩] ، ونموج الطغيان البشري" الفرعوني" ،خاصة ، في سياق السباق " اذهب إلى فرعون إنه طغى " [النازعات :١٩]،وردت الطامة بتناظر صوتي بديع بين طاء " طغى " وطاء " الطامّة "، وفي درة التنزيل : " وإنما استعملت الطامة الكبرى " في سورة النازعات لأن فيها ذكر ماأتى به فرعون من الطامة الكبرى في الكفر حيث قال : " ... أنا ربكم الأعلى "[النازعات:٢٤] فهذه في الكبائر

(١) التحرير والتنوير : ٣٠/٧٥.

(٢) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري :٢٣٠

كشديدة الآخرة في الشدائد فكأنه قرن إلى ذكر الكبيرة الموفية على أمثالها ذكر الطامة الكبرى وأهوالها "[1].

ثم انظر إلى هذا التجاوب الصوتي و الدلالي بين راء كبرى ، وراء راجفة ، ورادفة ، وزجرة ، وكيف يحكم القبضة على العلاقة الجامعة بين أسماء القيامة ويثير دلالة الزلزلة التي تمهد لزلزلة أشد ، والاهتزاز الذي يقدم لآخر يطم ويشمل ويحيط ، إذ تراتبية أسماء القيامة يحكمها السياق ، فقد " عبر عن البعث ابتداء بالراجفة لأنها مبدؤه ، ثم بالزجرة ، وأخيرا بالطامة الكبرى لما في هذين الوصفين من معنى يشمل الرجفة وما بعدها من الأهوال إلى أن يستقر كل فريق في مقره [2].

أضف إلى كل ذلك جمالية التكرار بين " الكبرى " التي تصف " الطامة " ، و" الكبرى " التي تصف آية موسى لفرعون " فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى "[النازعات:٢٠-٢١] وما يفضي إليه ذلك من دلالة ، إذ ترد الطامة الكبرى في السياق ارتباطا بالمبادرة في التكذيب عقب الآية الكبرى [3].

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي :١٣٣٢/١، دراسة وتحقيق وتعليق د.محمد مصطفى آيدين ، جامعة أم القرى ، ٢٠٠١م.

(٢) التحرير والتنوير : ٨٩/٣٠.

(٣) وفي روح المعاني : ٢٩/٣٠ عن الآية الكبرى : "و كونها كبرى باعتبار من قبله من الرسل ، أو هو للزيادة المطلقة".

(٣) الصاخة

أصل الصاخة في اللغة : الصك الشديد و هي مأخوذة من : صخه بالحجر إذا صكه ، ومن هذا الباب قول العرب : صختهم الصاخة و بانتهم البائنة و هي الداهية "[١] ، والصاخة من الألفاظ شديدة الوقع على السمع والنفس ، وهي "مشتقة من الفعل صخه يصخه ضرب أذنه فأصمها ، وصاح بهم صيحة تصخ الآذان والصاخة الداهية الشديدة "[٢] ، وعلى ذلك فهي تشترك في ملمح دلالي مع " الطامّة " لأن كلتيهما كناية عن الداهية العظيمة التي لا مرد لها ، إلا أن الصاخة تختص بخطاب حاسة السمع ، وتعنى بالبعد الصوتي ، لأن الصاخة هي " الصيحة العظيمة التي يبالغ في إسماع الأسماع بها حتى تكاد تصمها لشدتها ، وكأنها تطعن فيها لقوة وقعتها وعظيم وجبتها ، وتضطر الآذان إلى أن تصيخ إليها أي تسمع .. وأصل الصخ الضرب بشيء صلب على مصمت "[٣].

وفي الكشاف " يقال صخ لحديث مثل أصاخ له ، فوصف النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها أي يستمعون "[٤] . قيل " يعني صيحة القيامة،وهي النفخة الأخيرة"[٥] ،

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي ، مجلد ١٠: ٢٢٤/١٩ ، تحقيق عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط٢، ١٩٥٢ م.

(٢) أساس البلاغة ، الزمخشري : مادة (ص.خ.خ) ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٥م.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٣٣٢/٨.

(٤) الكشاف : ١١٨١.

(٥) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، محمد الرازي فخر الدين : ٦٤/٣١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، ١٩٨١ م.

فالصاخة على ذلك مصطلح قرآني خصص ليدل على مرحلة من مراحل القيامة وصفة من صفاتها ، هي مرحلة النفخ في الصور ، وما يصاحبها من صمم وذهول وتنبه لأمر الآخرة ، جاء على الفاعلية لدوام الصوت وإلحاحه واستمراره وشموله الكون كله.

ويرتبط مشهد الصاخة في سياق سورة (عبس) بالمشهد التالي لورودها " يوم يفر المرء. من أخيه .وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه "[عبس :٣٤-٣٧] ، فالصاخة هي هذا الجرس العنيف النافذ الذي يفصم عرى القربى والمودة، ويشرخ الروابط شرخا . والهول العالق بها هول نفسي ، يفصل الخلائق عن محيطهم ، ويستبد بهم استبدادا ، فلكل شأنه وحاله ، ولكل من هم الحساب وهول اليوم ما يشغله فلا يدع له فضلة من إدراك حال سواه .

ويرتبط سياق مقطع (الصاخة) بالسياق العام للسورة ، وسياق السباق ، حيث وضع مشهد الفرارفي السورة التي تبدأ بـ(عبس و تولى)، والتولي نوع من أنواع الفرار النفسي من الشيء . . . والتلهي عن الشيء هو الفرار منه بصورة ما ... (أما من جاءك يسعى . وهو يخشى .فأنت عنه تلهى)[عبس: ٨-١٠]"[(١)] ، فوضع مشهد الصاخة وما ينجم عنه من الفرار مرتبط بالسياق السابق لسياق مقطع (الصاخة) .

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل صالح السامرائي :١٩٧ ، دار عمار، عمان الأردن ،ط٣، ٢٠٠٣م.

كما يرتبط ذكرها بالسياق السابق وما تقدم ذكره من حال الإنسان ، ما نطق به قوله تعالى : (ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره)[عبس :٢١-٢٢] إذ كان الإنشار بالصاخة التي تطعن الآذان ، فيقضي الله تعالى عندها إحياء الموتى [١] .

وتأتلف الصاخة من الصامتين : الصاد ، والخاء . صوت الصاد وان لم يكن على درجة عالية من الوضوح إلاأنه بصفيره وتفخيمه وإطباقه يجمع بين قوة الاستعلاء وظهور الرنينية ، ليصبح مؤثرا صوتيا على دلالة الكلمة وتمركزها في السياق .

وحرف الصاد من أصلح الفونيمات محاكاة لأصوات الطبيعة ، حيث منحته خصائصه الصوتية " شخصية فذة ، طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وذكاء معنى ، ومن صلابته شدة وقوة وفاعلية ، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية نقية ما كان أصلحها لمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة "[٢] .

فصوت الصاد بجملة صفاته وإيحاءاته أقدر على تجسيد الحدث ، وما يلابسه من آثار انفطار الكون ، وارتطام أجزائه بعضها ببعض ، وقرع بعضها بعضا ، فضلا عن صوت النفخة التي تصخ الآذان فتصمها لشدتها .. زاد من حدة هذا الصوت وتأثيره في النفوس الحركة الطويلة " الألف " حيث أكسبت فوينم الصاد طولا ومدا واستمرارية وفاعلية ، وهو مد العنف والقسوة الذي يزيد الصاخة شقا للآذان .

يتلو الصاد الخاء ، وهو مشدد ذو نبر شديد ، وهو الصوت الذي أسهم باستعلاء المشهد وانفتاحه بالزمن ، ونقل صوت الصيحة التي تشق أجواز الفضاء

(١) درة التنزيل وغرة التأويل :١٣٣٣.

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها :١٤٩.

، لأنـه صـوت مفخـم يمتـاز برنـة غليظـة .حيـث ترافـق أصـوات التفخـيم الأحـداث الضـخمة ، فتصـور بإيقاعاتهـا المفخمـة ضـخامتها و عظمتهـا ، حتـى لكأنهـا تنقـل صوت هذه الأحداث كما تنقل الألفاظ معانيها. وعلى ذلك فقد وشى اللفظ بظلال المعنى وأسهم في صنع تلاؤم صوتي مع الدلالة المعنوية شكل عنصرا جماليا .

والصاد في "الصاخة" حلقة ضمن سلسلة أصوات الصفير التي تشكل شبكة من العلاقات الدلالية داخل السورة ، فإنك لتلمس هذا التجاوب الصوتي والدلالي بين فونيمات الصفير في ألفاظ : عبس ، يزكى ، استغنى، تصدى ، يزكى ، يسعى يخشى ... حيث يكرس النص للصاخة تكريسا طبيعيا تلقائيا يخرج من ثنايا العبوس والتولي ، والاستغناء والتخلي ... لتنتظم أصوات الصفير – التي يصفر بها – في حزمة صوتية فتشكل شبكة من العلاقات التي توفر تموجات إيقاعية مائزة ذات مصدر دلالي ، بتكرار أصوات الصفير .

وهذا اللون من التكرار الصوتي المتجاوب هو " أكثر أشكال التكرار فنية لما يمنحه للخطاب من تعقيد يغذي موسيقيته ، ويرفع من أدائه الفني ذلك أنه يخضع ضرورة إلى هندسة إيقاعية تنبع أساسا من طبيعة الأحداث ، وما تفرضه من صيغة تكرارية تتلاءم مع واقعها وخصوصيتها "[1] ، وهو ولا شك خاضع للضرورة الدلالية .

وفي سورة "عبس " تتوافق موسيقى أصوات الصفير مع مضمون السورة التنبيهي الإنذاري ، وما يؤكد ذلك أن الناس قد اتخذوا من أصوات الصفير نذيرا بينهم .

(١) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، محمد صابر عبيد : ٢١٨ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م.

والملاءمة واضحة بين " الصاخة " ومحور السورة القائم على الإعراض والانصراف والتخلي، حيث استخدم صوت الصفير المرقق في الفعل : عبس ، استغنى ، والمفخم في رد الفعل : "فأنت له تصدى " ، " فإذا جاءت الصاخة".

ثانياً : صيغة المقطع المفتوح :

من أسماء القيامة ما استخدمت فيه صيغة صوتية واحدة ، ليدل بمقاطعه على مضمونه ، وبصوته على معناه ، حيث تتشارك الألفاظ في الخطب الجلل ، والحدث العاصف .

هذه الصيغة الفريدة تهزك من الأعماق ، ويبعثك صوتها من الجذور ، لتطمئن يقينا إلى يوم لا مناص عنه ، ولا خلاص منه ، فهو واقع يقرعك بقوارعه ، وحادث يثيرك برواجفه .. الصدى الصوتي ، والوزن المتراص ، والسكت على هائه أو تائه القصيرة تعبير عما ورائه من شئون وعوالم وعظات ومتغيرات "[1] .

تشمل هذه الصيغة ألفاظ : الواقعة ، القارعة ، الآزفة ، الراجفة ، الرادفة ، الغاشية ، الآخرة .

ويلحظ فيها تكرار المد بالألف بحيث غدا هذا المد عنصرا إيقاعيا مهيمنا ، وقد ذكر سيبويه أن الألف حرف هاو ، وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو .

والمطلقات أصوات مجهورة ، يمد معها الصوت محدثا قوة إسماع عالية ليحدث تغيرات نفسية وردات أفعال شعورية ، والألف في أسماء القيامة يصور للأذهان حركية الحدث ، وانتشاره ، واستبعاد الإنسان لوقوعه . حيث

(١) الصوت اللغوي في القرآن : ١٧١.

تنسجم حركة الأصوات وحركة المعنى . فتوفر الألفاظ تنغيما صوتيا يوفر مساحة واسعة يبث من خلالها عدة دلالات .

كما أن الألف يفتح الباب أمام المخيلة لتأمل الأهوال ، ويفرض فسحة زمنية كافية لتدبر النتائج ، ويماثل أصوات الانفعال ...

وهذا التماثل في صوت الحركة تصاحبه مماثلة في عدة صوامت وهي : الراء ، والفاء ، والقاف ، والعين ، والهمزة . إضافة إلى أن الألفاظ كلها تنتهي بالهاء الساكنة التي تشبه أصوات التنهد والتأوه .

والألفاظ كلها جاءت بصيغة التأنيث في اسم الفاعل ، والعربية في الغالب تخصص هذه الصيغة لما هو مخيف و شديد مثل : الداهية والمصيبة والحالقة وغيرها . . . ولهذا الملحظ كثرت في القرآن الأسماء المؤنثة الدالة على اليوم الآخر .

(١) **الواقعة** :

الواقعة اسم من أسماء القيامة مأخوذ من وقوع ثبوت الشيء وسقوطه يقال وقع الطائر وقوعا "[١] ، قال ابن منظور: " الواقعة ، الداهية ، والواقعة النازلة من صروف الدهر ، والواقعة اسم من أسماء القيامة "[٢] ، وقال الطبرسي: "والواقعة اسم القيامة كالآزفة وغيرها ، والمعنى إذا حدثت الحادثة ، وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة . وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة أو لشدة وقعها "[٣] .

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٨٠.

(٢) لسان العرب : ٢٨٥/١٠.

(٣) مجمع البيان ، الطبرسي : ٢١٤/٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م.

وقيل : سميت الواقعة لتحقيق وقوعها يقال لكل آت يتوقع وقوعه واقع ، ويقال قد وقع الأمر كقولك قد جاء الأمر "[١] .وأصل " وقع " في لغة العرب : كان ووجد ، قال ابن كثير:"سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها"[٢] .

والواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه ، وأكثر ما جاء في القرآن في لفظ (وقع) جاء في العذاب والشدائد . و هو تأكيد للوجوب"[٣] .

يقول تعالى في مستهل سورة الواقعة :" إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة " . إطلاق اللفظ فيها على زنة فاعل، وإسناده بصيغة الماضي ، وما اقترن به من تاء المبالغة مما يدل على تحقق الوقوع وشدته ، حيث ترد (الواقعة) في موضعيها من النص القرآني في سياق الحديث عن حساب وقع و تحقق و تم ، فهي في سورة الواقعة "اسم للسورة و بيان لموضوعها ، حيث تعالج سورة الواقعة قضية النشأة الآخرة ، ردا على قول الشاكين فيها ، و المشركين بالله ، المكذبين بالقرآن ، ومن ثم تبدأ السورة بوصف القيامة . وصفتها بصفتها التي تنهي كل قول ، و تقطع كل شك ، وتشعر بالجزم في هذا الأمر"[٤] .

يتسق سياق اللحاق مع اسم السورة ومطلعها ، و يتناسق مع"الواقعة "، إذ يرصد تقابلا مكانيا أخرويا ، و يصف أحوالا واقعة ، فيدعم حقيقة وجود اليوم الآخر

(١) معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج :١٠٧/٥ ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبى ، ١٩٨٨م.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير : ٥٠٧/٦ تحقيق سامى بن محمد السلامة ، دار طيبة ، ١٩٩٩م.

(٣) مفردات الاصفهاني : (و ق ع).

(٤) في ظلال القرآن : ٣٤٦١/٢٧.

، و يدخله في مدار الأمر الحتمي و الحدوث القطعي ."وقعت الواقعة"أي التي وقع الوعد و الوعيد بها ، فكانت كأنها شيء ثقيل جدا ليس له ممسك ، فما له من ذاته غير السقوط [١] ، واللفظة بمعناها وبجرسها – بما فيها من مد ثم سكون – تلقي في الحس كأنما هي ثقل ضخم ينقض من عل ثم يستقر لغير مازحزحة بعد ذلك ولا زوال "[٢] ، يقع فيترقب له الحس رجة وفرقعة وضجة .

صفات الحروف في " واقعة " تتراوح بين الجهر والشدة لتجيء مناسبة للمعنى ، الواو مجهور يتسم بالثقل والشدة ، يتبعه المجهور الألف ، ثم القاف ، وهو صوت الشدة الذي كثيرا ما يعترضنا في مفردات القيامة ، وهو صوت الشق والقلع والتحطم ، وجميعها أحداث تتخلف عن حدث الوقوع .

أما العين فملائم لتصوير الحدث الشديد ، حيث يضفي طابع العنف بسبب طبيعته الإنتاجية " فعند النطق به يندفع الهواء مارا بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين ، حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى "[٣] ، وهو من ثم أقل احتكاكا من غيره من الأصوات الاحتكاكية .

وتوسط صوت العين بين الشدة (الانفجار) والرخاوة (الاحتكاك) يعمل كقوة عطالة تتباطأ عندها حركة الوقوع ، حتى يستقر الحدث مع صوت الهاء الساكنة .

والعين والقاف من أطلق الحروف وأنصعها وأضخمها جرسا ، فالقاف من الحروف اللهوية ، والعين من الحروف الناصعة الحلقية ، فهما بأصدائهما الصوتية قادران على تصوير ما في الأمر من قوة وضخامة لا تخطئ العين آثارهما، ولا ينبو

(١) نظم الدرر :٢٠/ ٣٥٤.

(٢) في ظلال القرآن : ٣٤٦٢/٢٧.

(٣) الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس : ٧٥، مطبعة نهضة مصر.

عنهما السمع ، أضف إلى ذلك دور المد الذي يوقف المتلقي على الأثر النفسي للكلمة وما فيها من معان .

(٢) **القارعــة** :

القرع مصدر قرعت الإنسان و الدابة بالعصا أقرعه قرعا ، و كل ما قرعت به فهو مقرعة "[١] ، ويقال أقرع القوم وتقارعوا بينهم والاسم القرعة ، وقارعته فقرعته ، أصابتني القرعة دونه ، وفلان قريع فلان : أي يقارعه ، والقريع من الإبل الفحل لأنه يقرع الناقة ، أي يضربها ، القراع : المضاربة بالسيف في الحرب "[٢] .

جاء في اللسان : " القارعة كل هنة شديدة القرع و هي القيامة أيضا ، قال الفراء القرع هو الضرب ، والقارعة في اللغة : النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم ، ولذلك قيل ليوم القيامة القارعة . يقال قرعه أمر : إذا أتاه فجأة وجمعها قوارع . والاقتراع ، الاختيار ، والقريع الخيار ، واقترع الشيء : اختاره ، وقرعة كل شئ خياره "[٣] .

سميت القيامة قارعة لأنها تقرع قلوب العباد إلى أن يصير المؤمنون إلى الأمن ، وهي أيضا اسم من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع وتقرع أعداء الله بالعذاب "[٤] ، والقارعة هي الداهية أو النازلة الشديدة التي تفجأ النفس فتذهلها

(١) جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد : مادة (ق ر ع) ، علق عليه ووضح حواشيه و فهارسه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١.

(٢) كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : مادة (ق ر ع).

(٣) لسان العرب :ماده (ق ر ع).

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي :٥٣٢/٥ ،مطبعة العرفان ، صيدا.

وتشدهها لوقوعها على غفلة ، ومجيئها من مجهول شامل ترهبه النفس فهي من قولنا : "أصابته قارعة من قوارع الدهر "[1] .

وهي الصيحة المفزعة سميت بها لأنها تقرع أسماع الناس وتدقها دقًا شديدًا عظيمًا مزعجًا بالإفزاع ، والأجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار ، والأشياءالثابتة بالانتثار "[2] ، وهذا هو الشق المادي المحسوس ، و المشهد المعروض في إطار (القارعة)هو مشهد هول تتناول آثاره الناس " فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية .فهل ترى لهم من باقية " [الحاقة : ٨-٥] ، بل الناس والجبال " يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش"[القارعة : ٤-٥]، والسياق يلائم بين القرع و عواقبه ، ذلك أن المقراع (من القرع) وهو فأس عظيم تحطم به الحجارة ، فهناك ملازمة بين المقراع و التحطيم ، أما الشق المعنوي منها فيتمثل فيما يفزع الناس من أهوال القيامة و شدائدها .

القارعة اسم فاعل مصدره القرع ، والقرع " هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحدث منه صوت شديد، وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق "[3] ، فللقارعة دلالة الضرب ، ودلالة الصوت . وكلاهما لا

(١) أساس البلاغة ، الزمخشري (ق.ر.ع) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٥م.

(٢) نظم الدرر : ٥١٣/٨.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي : ٢٢٠/٣٠ ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، د.ط.

ينفصل عن إيحاء الشدة والعنف ، الذي يخترق مجالي المسموع والمرئي على السواء .

لفظ (القارعة) تكتنفه ظلالا من الإهانة والتحقير والتصغير ، لدلالته على الضرب والقرع واللطم الشديد المهين وهو من قولهم " قرعته بالمقرعة والمقارع "[1] ، ليكمل سياق (القارعة) بهذه الدلالة المضافة منظومة الوقائع النفسية الضاغطة على كل متكبر ينكروقوع القيامة . و لذا فالقارعة في السياق القرآني صفة من صفات يوم القيامة ، ومشهد من مشاهدها،" تطير له القلوب شعاعا ، وترجف منه الأوصال ارتجافًا ، ويحس السامع كأن كل شيء يتشبث به في الأرض قد طار حوله هباء"[2] .

وهذه الحالة عكستها حروف الجهر بالكلمة ، فأظهرت صورة القرع واللطم المباغت ، لتركز على استثارة الإحساس بالخوف عبر الإيقاع السمعي،حيث تناسب شدة الحروف وجهرها حالة الخوف المطبق للمشهد المرتقب.

بينما توحي أصوات الانفتاح باستمرار الموقف إلى زمن غير محدد،حيثما يوحي صوت الإصمات الهاء بالسكون القاف والعين في قارعة ، قادران على الإيحاء بالفزع الشديد ، لما فيهما من شدة تلائم الهول الواقع ، القاف بجرسه القوي الصاعق ، والعين الصوت الحلقي الاحتكاكي المجهور الذي يظهر على شكل فرقعة تتبعها ضجة .

بينما يستمد الحدث تكراريته ومشهديته عبر صوت الراء حيث يحدد علماء الأصوات للراء المجهور المتوسط الشدة بعض الدلالات كالاستمرار ، والتكرار ،

(١) أساس البلاغة : (ق.ر.ع).

(٢) في ظلال القرآن : ٣/٣٩٦٠.

والتحرك ، والترجيع "[1] ، والمطلق الألف بسعته وامتداده الذي يوحي بتوالي القرع وامتداده الزمني ، بينما يعمل تكرار اللفظ " القارعة ، ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة " ، على تحويل الأصوات المكررة إلى مشاهد تنبعث منها أصوات مسموعة .

(٣) **الآزفـــة** :

تدور مادة (أزف) حول معنى الدنو والمقاربة ، يقال أزف الرحيل ، أي اقترب ودنا " . ووردت هذه المادة في قوله تعالى : " و أنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين " [غافر ١٨] ، وقوله : " أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة " النجم :[٥٧-٥٨].

قال الطبرسى : " وأنذرهم يوم الآزفة " . أي الدانية وهو يوم القيامة ؛ لأن كل ما هو آت دان قريب "[2] . وقال الراغب : معناه : أي دنت القيامة ... فعبرعنها بلفظ الماضي(أزفت الآزفة) لقربها وضيق وقتها "[3] . وفى اللغة : الآزفة : القيامة ، وإن استبعد الناس مداها "[4] .

ورقة الآزفة في لفظها بانطلاق الألف الممدودة من الصدر ، وصفير الزاي من الأسنان ، وانحدار الفاء من أسفل الشفة ، والسكت على الهاء منبعثة من الأعماق ، كالرقة في معناها في الدنو والاقتراب وحلول الوقت ،ومع هذه الرقة في الصوت والمعنى ، إلا أن المراد من هذا الصفير أزيزه ، ومن هذا التأفف هديره

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ٨٤.
(٢) مجمع البيان : ٥١٨/٤.
(٣) المفردات ، الراغب : ١٧.
(٤) لسان العرب : ٣٤٦/١.

ورجيفه ، فإدناء يوم القيامة غير إدناء الحبيب ، واقتراب الساعة غير اقتراب المواعيد ، إنه دنو اليوم الموعود ، والحالات الحرجة ، والهدير النازل ، إنه يوم القيامة في شدائده "[1] .

(٤) **الراجفة / الرادفة** :

يقول تعالى في سورة النازعات : " يوم ترجف الراجفة.تتبعها الرادفة " [الآيتان : ٦-٧.]

رجف : الرجفان : الاضطراب الشديد ، رجف الشيء يرجف رجفا ورجوفا ورجفانا ورجيفا ، وأرجف : خفق واضطرب اضطرابا شديدا "[2] .

والراجفة : الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال ، وهي النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها (تتبعها الرادفة) أي القيامة التي يستعجلها الكفرة ، استبعادا لها وهي رادفة لاقترابها . وقيل الراجفة الأرض والجبال من قوله تعالى:" يوم ترجف الأرض والجبال " ، والرادفة السماء والكواكب لأنها تنشق وتنتثر كواكبها إثر ذلك "[3] .

(١) الصوت اللغوي في القرآن : ١٧٤ . في القسم الثاني من البحث دراسة تفصيلية للفظ (الآزفة) في موازنته بلفظ (الساعة).

(٢) لسان العرب : ١١٢/٩(رجف). " والفرق بين الزلزلة والرجفة أن الرجفة الزلزلة العظيمة ولهذا يقال : زلزلت الأرض زلزلة خفيفة ، ولا يقال : رجفت إلا إذا كانت زلزلة شديدة .. وسميت زلزلة الساعة رجفة لذلك . ومنه الإرجاف ، وهو الإخبار باضطراب أمر الرجل . ورجفت الشيءإذا اضطرب، يقال رجفت منه اذا تقلقلت " الفروق اللغوية : ٣٠١-٣٠٢ .

(٣) الكشاف :٢١٢/٤.

وقال الطبرسي : " الراجفة : يعني النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلائق ، والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية تعقب النفخة الأولى، وهي التي يبعث معها الخلق "[1] .

ترجف الراجفة هو قيام الساعة ، فهي النفخة في الصور التي تجعل الجميع ينتهي ثم تتبعها الرادفة وهي حركة أخرى من نوع الأولى أي يحدث زلزال آخر ، تتزعزع عنده القلوب .

قيل الراجفة الأرض تضطرب و تهتز ، و الرادفة الساعة تتبعها القيامة . تضطرب الأرض فتقوم القيامة . فجعل الرجفان للأرض ، ويتبع ذلك قيام الساعة وقيل الراجفة هي الزلزلة ، والرادفة هي الصيحة . وقيل إنهما واحد لأن القيامة تقوم بالصيحة والنفخ بالصور.

وعلى ذلك يكون لفظ الراجفة اسما لحدث من أحداث القيامة هو زلزلة الأرض وما عليها ، ولفظ الرادفة اسما لحدث تال هو الصيحة التي يعقبها قيام الناس ونشورهم . وهذا التفسير يدخل الكلمتين في حيز الوصف لحدث معين من أحداث يوم القيامة ، ويبعدهما عن العلمية .

في الراجفة والرادفة معنى : النفخة الأولى ، والنفخة الثانية ، والواقعة ، والصيحة العظيمة ، والتردد، والاضطراب "، فالأرض ومن عليها مرجوفون ، والأصل أن الأرض ليست راجفة بل مرجوفة ، وإنما عدل عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل ، حيث يكتسب الحدث عنصر الطواعية والتلقائية ، فيضاعف حد التركيز على الحدث ، فضلا عن إظهار دلالة المباغتة التي تحملها صيغة اسم الفاعل ،

(١) مجمع البيان : ٥/٤٣٠.

والسياق البعدي يرصد هذه الدلالات التي ينتجها اسم المفعول ويعضدها " قلوب يومئذ واجفة . أبصارها خاشعة "[النازعات : ٨-٩].

وقد تقدمت الراجفة و الرادفة (الطامة الكبرى) في سورة النازعات ممهدتان لها في سياق يموج بهول الحركة والاضطراب التي تؤول إلى غايتها بالطامة الكبرى .

وإذا تأملت دلالات الراجفة والرادفة ظفرت من اللفظين بالفعل ورد الفعل معا حيث يتجلى العمق الصوتي في إبراز دلالة الحدثين وعواقبهما معا ، عبر تكرارية الراء والفاء ، في(راجفة)و(رادفة)، التي تتكفل بإيضاح خصوصية (الفعل ورد الفعل) في اللفظين .

مع الراء تتمثل الزلزلة ؛ إذ يتكون هذا الصوت عند اندفاع الهواء فتخرج سلسلة من الضربات المتكررة التي تحدث رنينا صوتيا "[1] ، ويسمع صوت الصيحة العظيمة من صخب هذا المجهور الذي يقرع الأذن ويوقظ الأعصاب .

فجو الزلزلة تجسده بنيتا الراجفة والرادفة حيث طبعهما حرف الراء ، الذي عكس جوا صاخبا مخيفا، ورسم صورة حية لحال البشر يوم القيامة ، وأوحى بالخوف والاضطراب بسبب تكراريته وقد وصف بالترعيد في الإيقاعات وذلك لشدة اهتزاز سطح اللسان"[2] . والراء في وضوحه أقرب إلى طبيعة الحركات . تقرأ مع تكراريته تكرارية الحدث مرة بعد مرة ، وهذا هو شأن الرجفة التي هي هزات شديدة متكررة ، فضلا عن تذبذب هذا الصوت بين الشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والجهر ، وكأن هذا هو الاهتزاز صعودا ونزولا ، مما يصور الزلزلة .

(١) ينظر علم الأصوات العام ، بسام بركة : ١٢٨ ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان (د.ت).

(٢) أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا : ٨٢.

أما المد " الألف " فقد منح الزلزلة استطالة وانفتاحا زمنيا ، انتهى إلى قلقة مع صوتي الجيم والدال ، في " راجفة " و" رادفة " ، لتمتد وتتصعد حركة الاضطراب والاهتزاز ، وليوحي الإيقاع الصوتي بسطوة الارتجاج المشبع رهبة .

بينما ينقل الفاء صوت احتكاك شيء بشيء آخر ، أو جسم بجسم . وبه تستوحى حالة السكون والهدوء المشوب بالخوف والحذر ، وما يعتري النفس من الضيق والسأم ، حيث تشبه الفاء الزفرة التي يعبر بها عن الضجر ، أو الغضب ، أو الحزن "[1] ، " قلوب يومئذ واجفة " .

(١) نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي ، على يونس :٢٣٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ م.

(٥) الغاشـــية :

الغاشية : من الغشاء وهو الغطاء ... والغاشية من غشيه يغشاه أي غطاه وكل ما يحيط الشيء من جميع جهاته فهو غاش له "[١] .والغاشية هي كل ما يغطيه الشيء كغاشية السرج نحو قوله تعالى " أن تأتيهم غاشية من عذاب الله" [يوسف:١٠٧]أي : نائبة تغشاهم وتجللهم "[٢] .

وقال الزمخشري : الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة "[٣]. قال ابن منظور :" الغاشية القيامة ، لأنها تغشى الخلق بأفزاعها ، وقيل الغاشية ، النار لأنها تغشى وجوه الكفار . وقيل للقيامة غاشية :لأنها تجلل الخلق فتعمهم "[٤] .

سميت القيامة بالغاشية لوجوه : منها أنها ترد على الخلق بغتة وهو كقوله تعالى : " أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله "، و الثاني : أنها تغشى الناس جميعًا من الأولين و الآخرين . و الثالث : أنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد"[٥] .

---

(١) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ، محيي الدين شيخ زاده : ٦٥٢/٤ ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨م.

(٢) المفردات : ٦٠٧.

(٣) الكشاف : ٢٤٦/٤.

(٤) لسان العرب : ٣٦٢/١٩.

(٥) التفسير الكبير : ٣١/ ١٥١.

والغاشية لفظ مستعمل في الأصل، في المحمود من الأفعال ، ثم استعير إلى المكروه فأصبح لا يطلق إلا في المكروه"[1] ، ويراد به يوم القيامة حين يعرف بأل.

وعلى ذلك فالغاشية من الغشاء أي الغطاء ، وهي الداهية التي تغشى ، وهي التي تغشى الناس جميعا من الأولين والآخرين، فهي طغيان للأهوال والشدائد يجتاح الناس ويجللهم ، كأنما هو ثياب يستغشونها .

في سورة الغاشية ، يقول تعالى :" هل أتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية . تسقى من عين آنية . ليس لهم طعام إلا من ضريع . لا يسمن و لا يغني من جوع . وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية.في جنة عالية . . . " [الآيات :١-١٠]،فيحل لفظ الغاشية في السياق ارتباطًا بسياق اللحاق نظرا لما يحمله من إيحاءات خاصة ، حيث ينقل أجواء يفرضها على النفس البشرية بإطلاقه ، و ينسجم و السياق اللفظي ، لا سيما في إدراكنا الفرق الدقيق بين الغشاء و الغطاء ، فقولك : غشي الأمر يعني لابسه وباشره ، و غطاه يعني واراه وستره ،ووفق ذلك يلح السياق على استدعاء لفظ (الغاشية) ، دون أي من مرادفاتها ، في ارتباط هذا الوصف بالوجوه ، إذ تغدو الوجوه في سياق اللحاق عنوانًا لما يجد صاحبها من نعيم و شقوة .

فالسياق يستدعي الدلالتين المادية و المعنوية اللتين يحمل بهما لفظ (الغاشية) ؛ إذ هي الغشيان أي الغمر ، وهي الملابسة والمباشرة ، أما الدلالة المادية فتتمثل فيما يعلو الوجوه من قترورهق ، وأما المعنوية ففي غشية أهوال القيامة على القلوب ، "ولعل هذا من وجوه الإعجاز القرآني في مجال البناء

(١) نظم الدرر : ٨/ ٤٠٤.

المعماري الدقيق للألفاظ المؤثرة بحكم صلتها بالمعاني المثيرة المحكومة بمقتضى السياق الواردة فيه"[١] .

رافقت الدلالة الصوتية الدلالة المعجمية في معنى التغطية والملابسة والاكتناف ، إذ أثارت الإيحاء بالمعنى من خلال حرف الاستعلاء " الغين " ، وحرف التفشي والانتشار الشين ، وعبرت عن أثر هذه الحالة عبر صوت الياء ، وما يدل عليه من تأثير عم أثره الداخل ، لأن الياء " للانفعال المؤثر في البواطن "[٢] .

(٦) **الآخـــرة** :

الآخرة والأخرى دار البقاء "[٣] .

وقد وردت في القرآن للدلالة على : الجنة " ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق " ، والجحيم " ساجدا وقائما يحذر الآخرة" ، والقبر " بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة "[٤]. وفي قاموس القرآن " يعني البعث بعد الموت " والذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط ناكبون "[٥] .

---

(١) جدلية السياق و الدلالة في اللغة العربية: ٤٥.

(٢) خصائص الحروف العربية و معانيها :٩٨.

(٣) القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : ٣٤٢ ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، ٢٠٠٥م.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي :٨٩/٢ – ٩٠، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، القاهرة ،١٩٩٢م.

(٥) قاموس القرآن أوإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، الحسين بن محمد الدامغاني:٢٤، حققه ورتبه عبدالعزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، بيروت/لبنان ط٤ ، إبريل ١٩٨٣ م.

فالآخرة دار البقاء مطلقا ، أو الجنة تخصيصا ، أو الجحيم ، أو القبر ، أو البعث ، وهي الأخيرة ، وهي القيامة . مرجع هذه الوجوه إلى دلالة واحدة ذكرها الراغب في قوله : " آخر يقابل به الأول "[1] ، يقول ابن فارس : " الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه ، وهو خلاف التقدم "[2] . ونرى مصداق ذلك بتقليب النظر في الأوجه كلها.إذ يقصد بها كونها الأخيرة وهو أصل الدلالة.

والمراد من إطلاقها في القرآن إثارة ما يلابسها من أحوال ؛ إذ ترد في سياق يقصد إلى التحذير من الركون للدنيا التي تفنى فتعقبها الآخرة ، ومن ثم ترد في معرض مقابلة الدنيا " ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين " [لبقرة :١٣٠]، " فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة " [النساء :٦٤].

والبنية الصوتية لـ" الآخرة " وان توافقت مع مفردات : الواقعة ، والقارعة والغاشية ... إلا أن أصوات الكلمة لا تحتوي من مثيرات السمع والمشاهدة والحركة مما يشير إلى تغيرات تعتري الكون ، فتحرك وتنسف وتحطم وتبدد وتقرع ... .

ولكن الكلمة ترتكز على تأليف صوتي يقصد إلى التنبيه لعظم اليوم الأخير ، هذا التنبيه عبرت عنه الأصوات التي تراوحت بين جهر الهمزة وانفجارها ومدها بأل ، إلى همس الخاء ورخويتها إلى جهر الراء ، وهو تناوب صوتي من شأنه أن يهز الأعماق ويذكر بخطورة الحدث .

ثالثاً : **صيغة المقطع المغلق** :

(١) المفردات في غريب القرآن : آخر.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس : أخر ، ٧٠/١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١ م.

حظيت بعض ألفاظ يوم القيامة بوزن صوتي مميز ، إذ تألفت من أصوات ثلاثة ، فتح أولها [١] وسكن ثانيها ، وهي ألفاظ : بعث ، جمع ، حشر ، فصل ، وتؤلف في مجموعها أحداثا وحالات تبدأ بمكان وتؤول إلى مكان ، تبدأ مع البعث من القبر لتنتهي مع الفصل بالجنة أو النار .

القسم الأول من كل لفظ يتشكل من مقطع متوسط مغلق ، فإذا سكن صوت اللفظ الأخير تألف من مقطع واحد طويل مغلق مزدوج الإغلاق ، ولهذا المقطع خاصة ثقل عظيم على اللسان يعود إلى طوله ، وعنقوده الفوينمي .

ومن شأن المقطع المغلق – في عمومه – أن يشعرك كلما انقطع نفسك مع النطق ، بقوة الحدث وشدته ، ويعكس ما فيه من تأكيد ، بقطعه النفس أثناء النطق ، بما يقطع كل شك وجدال ، فهو في معرض التأكيد يعبر " عن الحزم القاطع، والجد الفاصل ، الذي لا مجال فيه لتهاون ولا تجوز "[٢] .

إن سمة الهيمنة النابعة من الضغط على حروف الوسط تعمل في هذه الأحداث : بعث ، جمع ، حشر ، فصل ، على حشد قدرة إلهية مطلقة ، وهولا يبعث على التفكر والتأمل ، ليتناسب تصوير قوة الكلمة وصرامتها مع خطورة الأمر وحساسيته ، حيث لا مجال لإطلاق أو مد صوتي ،فيعكس إيقاع المقطع المغلق بجرسه الرهيب الرصين دلالة التوكيد ، ويزيد الحدث عمقا ورهبة ، ويلوح بما وراءه من أمر ثقيل لا يوقف على حقيقته .

---

(١) فإذا كانت الفتحة ، كما أكد العالم فوناجي (Fonagy) بقوائمه الإحصائية ، تدل على الكبر والضخامة ، فإن مضمون الكلمة التي تستهل بالفتحة ربما تحتويأمرا خطيرا عظيما.

(٢) لغة القرآن الكريم في جزء عم ، محمود أحمد نحلة : ٣٦١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م.

فانظر إلى هذا التكتل الصوتي ، والبناء على الصامت بتسكين عين الكلمة ، والحركة القصيرة ، لتستشف قدرة إلهية مطلقة في أحداث فاصلة حاسمة .

وهذه الألفاظ بإيقاعها الحاد تنقل درجة السرعة في الحدث ، لترسم المسافات أو مساحات التصوير ، وتكرس في الشعور زمنية سرعة ، واقتراب ، وانقضاء ، حيث تعبر عن قصر زمن الحدث ، وسرعته ، وقوته ، وشدته .

فلثقل المقطع المغلق ووضوحه السمعي العالي أن يلائم قوة الحدث وشدته ، فيعمق ما يثيره لدى المتلقي من أحاسيس . ومن ثم فهذا الإطار الصوتي يجعل من التعبير بالكلمة أمرا يرتقي إلى مستوى التعبير الجمالي ، ويعمق في النفس شدة الإحساس بالمعنى ، بما يحوي من قدرة تعبيرية عجيبة . حيث يتحول جرس اللفظ ، ووقع تأليف الأصوات إلى منبهات مثيرة للانفعال النفسي ، ومحفز للمخيلة كي ترسم صورة معبرة عن الحدث .

(١) **يوم البعث** :

لم يرد يوم البعث في البيان القرآني إلا في آية واحدة ، جاء فيها مكررا ، وهي قوله تعالى: " وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث و لكنكم كنتم لا تعلمون " [الروم ٥٦ .]

وأصل البعث : الإرسال والإثارة والتوجيه ، ويقال بعثت الناقة أي أثرتها " [١] .

(١) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : ١٢٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.

قال ابن منظور : " والبعث إثارة بارك أو قاعد ، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار ، والبعث أيضا : الإحياء من الله للموتى ، وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث "(١) .

فـ " المراد بالبعث المعاد الجسماني ... فإن شاء الحق تبارك وتعالى إعادة العباد وإحيائهم أمر إسرافيل فنفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد "(٢) . فقد أطلق يوم البعث على يوم القيامة لأنه يوم الحياة بعد الموت إذ فيه يحيي الله عز وجل الخلائق للوقوف بين يديه ليجزي كل نفس بما قدمت .

فهذا التركيب (يوم البعث) بهذا المعنى يعد من المصطلحات الإسلامية التي أطلقها القرآن على يوم القيامة وفيه ملمح دلالي وهو " إحياء الله الخلق بعد موتهم لملاقاة وجه ربهم "(٣) .

والبعث مظهر القدرة والقوة الفاعلة الحاضرة ، فهو " دلالة طلاقة المشيئة التي يعنى القرآن عناية فائقة بتقريرها في ضمائر المؤمنين ، لتتعلق بالله مباشرة من وراء الأسباب الظاهرة ، والمقدمات المنظورة "(٤) .

ومن ثم فقد أوثر لفظ " البعث" علما على الظاهرة ، في سياقات النص القرآني ، بما يشتحن به من دلالة القوة والعنف ، وكأنما ليجابه بهذه القوة والعنف شدة

(١) اللسان : ١/٤٥٠.

(٢) القيامة الكبرى ، عمر سليمان الأشقر : ٥١ ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٩٩٠م.

(٣) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ، عودة خليل أبوعودة : ٣٥٧ ، مكتبة المنار ، الزرقا ، الأردن ، ط١ ،١٩٨٥م.

(٤) في ظلال القرآن : ٣٠١.

الفناء والعدم التي تجعل من ظاهرة البعث ضربا من المحال في أذهان المنكرين ، فلفظ البعث فيه معنى القوة ، وكأن فيه أيضا معنى من الحركة العنيفة التي تكون من المبعوث ، لا مجرد الانقياد والطاعة لأمر الباعث"[١] .

وقوة المبعوث في ذاتها علامة قوة الباعث واقتداره ، لأن الحركة في البعث " لا تكون بإرادة المبعوث ، لأنه مأمور "[٢] . ومن ثم فكثيرا ما يرد لفظ (البعث)، في السياق القرآني ، في إطار ثنائية القدرة الإلهية : الخلق / البعث ، فهي الثابت البنيوي الذي يرتكز عليه القياس الاستدلالي الداخلي " يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب " [الحج :٥].

وقد برزت دلالة القدرة في حدث البعث من خلال التشكيل الصوتي للفظة ، فالباء فيها حرف مجهور شديد ، وهو بحكم خروج صوته من انفراج الشفتين بعد انطباقهما على بعضهما بعضا ، أصلح ما يكون لتمثيل الأحداث التي تنطوي معانيها على الانبثاق والظهور والسيلان ، ولكن بحكم انفجاره الصوتي بانفراج الشفتين سريعا بعد ضمة شديدة فهو أوحى ما يكون بمعاني البعج والحفر ، والقطع والشق ، والتحطيم والتبديد ، والمفاجأة والشدة "[٣] ، وتمنحه صفة القلقلة إيحاء

(١) من وصف القرآن (يوم الدين والحساب) ، شكري محمد عياد : ٧٥ ، دار أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع ، ط٣، ١٩٩٥ م.

(٢) أفعال الحركة الانتقالية الكلية للإنسان في القرآن الكريم (دراسة دلالية إحصائية) ، عماد عبد الرحمن خليل شلبي : ٣٣ (أطروحة للماجستير) في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية نابلس –فلسطين ، ٢٠١٠ م.

(٣) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٠١.

بالاضطراب والتحريك ، يقال قلقل الشيء بمعنى حركه ، والقلقلة هي " شدة الصوت " .

والباء حرف تدل خصوصيته الصوتية على التكلم والنطق ، وكأنما يعكس صوت المبعوث ويقطع بعودة الحياة إليه. فالباء في مطلع كلمة " بعث " تصوير وإيحاء بحدث الخروج من حالة التبديد والسكون والمواراة إلى الإعادة والحياة والحركة والظهور ، بما ينطوي عليه كل ذلك من قوة وشدة وما يثيره من المفاجأة والدهشة .

فهي تمثيل لأول الخروج من حالة الموت ، وما ينطوي عليه هذا الخروج من سمات قدرة الباعث وقوته بما يتناسب مع مخرج الباء الشفوي البارز المحيل إلى الخروج ، والذي يثير دلالة ظهور وانكشاف الحياة بعد الموت بما يعكس انكشاف القدرة الربانية مقابل إنكار هذه القدرة .

ثم يأتي صوت " العين " بصفائه ونقائه ليوحي بالفاعلية والإشراق والظهور فيدفع بالحركة في اتجاه تصاعدي ، ويدل على اضطراد وتطور حالة المبعوث ، ويمنح اللفظ دلالة الشدة ، ويضفي عليه طابع العنف .

وصوت العين من حروف الشدة والفاعلية ، فهذا الحرف يضفي على معاني الكلمات التي يشارك في تراكيبها في الأعم الأغلب ، كثيرا من الفعالية والعيانية والظهور . ويمنح المتكلم مركزية ويجلب نحوه النظر "[1] .

(١) الصوت والدلالة في شعر الصعاليك (تائية الشنفرى أنموذجا) ، عادل محلو : ١١٠ (أطروحةللدكتوراه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية /قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الحاج لخضر / باتنة/الجزائر ، العام الجامعى :٢٠٠٦/٢٠٠٧م.

تجاور صوتي الباء والعين كشف عن حالة مضادة البتة لحالة الموت في بلى صاحبه ، وصيرورته إلى رفات وعظام ، وسكونه ، وتواريه مقبورا . ليأتي صوت " الثاء " فيدل على حالة خروج الموتى ، وما ينطوي عليه ذلك من البعثرة والتشتت والتخليط "[1] ، لما تدل عليه الثاء من البث ، حيث يستشعر هذا الإيحاء في خروج الهواء الذي ينتج هذا الصوت الاحتكاكي قويا متتابعا مستمرا ، من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا "[2] ، " يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ " [القمر :٧] .

فمن تحريك وقلقلة وانبثاق الباء ، إلى ظهور وعلانية العين ، إلى انتشار وبعثرة الثاء . توازن بديع تولد من إيقاع صوتي دل على حركة البعث ودورته ، دالا على اقتدار فاعله .

(٢) **يوم الجمع** :

الجمع هو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض يقال جمعته فاجتمع "[3]، والمراد بيوم الجمع يوم القيامة،قال القرطبي : " أي بيوم الجمع ، وهو يوم القيامة "[4] .

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ٥٣.

(٢) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس : ٤٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٤ ٢٠٠٧م.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٢٠١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي :٦/١٦.

قال الإمام فخر الدين الرازي : " وفي تسميته بيوم الجمع وجوه (الأول) أن الخلائق يجمعون فيه ، قال تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) فيجتمع فيه أهل السماوات وأهل الأرض (الثاني) أنه يجمع بين الأرواح والأجساد(الثالث) يجمع بين كل عامل وعمله (الرابع) يجمع بين الظالم والمظلوم "[1] .

وكل ما ذكر من أحوال الجمع مما يحتمله معناه يحيل إلى قدرة إلهية ، ويعكس مظهر هذه القدرة في حالة الجمع من شتات وافتراق ، ومن دلالة تلك القدرة وإطلاقها أن ورد لفظ "الجمع" بمشتقاته في المدونة القرآنية ؛ إذ ورد بلفظ الفعل الماضي(جمعناكم) " هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين " [المرسلات :٣٨]، والمضارع (يجمعكم) " يوم يجمعكم ليوم الجمع " [التغابن : من الآية ٩]، وبلفظ اسم الفاعل (جامع) " ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه" [آل عمران : من الآية ٩] ، واسم المفعول (مجموع) " لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم " [الواقعة :٥٠]:، ولفظ المصدر(الجمع) " وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه " [الشورى: من الآية٧]. وكلها يحيل إلى المعنى ذاته في جمع الناس في ذلك اليوم ، وقرب بعضهم من بعض ، أو أن الله يجمع فيه الأولين والآخرين ، والجن والإنس ، وأهل السماء وأهل الأرض ، أو يجمع فيه بين كل عبد وعمله ، أو بين الظالم والمظلوم ، أو بين كل نبي وأمته ، وكل ذلك محتمل بدلالة عظمة الحق عز وجل وشمولية لفظة الجمع وسعة إطلاقها"[2] .

(١) التفسير الكبير : ١٤٩/٢٧.

(٢) حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي : ١٢٦/٤.

ووفق ذلك يرد لفظ الجمع ومشتقاته في سياقات تشير إلى حالات الجمع للأشتات ، ففي قوله تعالى : " ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه " [آل عمران : من الآية ٩]، يستدعي السياق (يوم الجمع) لما في ذكر " يوم الجمع من المناسبة بعد ذكر أحوال الغواة و المهتدين . و العلماء الراسخين "[١] ، وهم الذين ضمهم السياق المتقدم ، ولمثل ذلك يرد (يوم الجمع) في قوله تعالى : " هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين " [المرسلات ٣٨]، و هو كلام موضح لما ذكر في السياق القبلي من قوله تعالى :" هذا يوم الفصل "، "لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء و الأشقياء وبين الأنبياء و أممهم فلا بد من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم "[٢] .

فيوم الجمع في السياق القرآني يعقب أحوال فرقة تستلزم الجمع ، ولعل " أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد "[٣] ، حيث يبرز السياق دلالة القدرة الإلهية من خلال حدث الجمع في مثل قوله تعالى"و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصورفجمعناهم جمعا"[الكهف :٩٩] "فجمعناهم جمعا" أي أحضرنا الجميع للحساب ، والمعنى : جمعنا الخلائق بعد تلاشي أبدانهم ، ومصيرها ترابًا جمعًا تاما على أكمل صفة و أبدع هيئة وأكمل أسلوب.

(١) التحرير و التنوير : ١٧١/٣.

(٢) الكشاف : ٢٩/ ١١٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٤/١١.

يبدأ لفظ "الجمع" بصوت الجيم ، وهو من أصعب الصوامت العربية نطقا ، ومن أوضحها في السمع "[1] ، وذلك مما يجعل من هذا الصامت بؤرة اهتمام ، تركز الانتباه للفظ ، وما يحمله من دلالة ، تؤثر في النفس . حيث يوحي هذا الصوت بصعوبة نطقه بعظم عملية الجمع وشدتها ، لإيحائه بذلك من خلال دلالته الذاتية ، إذ "يدل على العظم مطلقًا "[2].

أما صوت الوسط فقد تميز بقوة إسماعية عالية ، والميم صوت شديد في أصله ، أنفي يخرج بإطباق الشفتين ، وهو صوت ذلقي يعمل في حدث " الجمع " على تجسيد الصورة الحسية بما يتمتع به من خفة وسلاسة على اللسان .

وانطباق الشفة على الشفة مع حرف الميم يماثل الأحداث الطبيعية التي فيها السد والانغلاق ، ليدعم الإيحاء بإحكام القبضة على الجمع .

ولينتهي حدث الجمع مع جرس صوت العين بدلالته على الوضوح والعلانية وهو صوت مجهور احتكاكي وهو من الأصوات الحلقية التي تمتلك قيمة تعبيرية كبيرة في تصوير الأصوات والحركات العنيفة إضافة إلى تصوير مشاعر التوجع والألم .

(١) الجيم تساوي الصوامت الرنانة بالوضوح السمعي ، هذا إن لم تكن أوضح الصوامت العربية ، بطاقتها وطولها المتميزين " التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجا) ، مهدي عناد أحمد قبها : ٤١ (أطروحة للماجستير فى اللغة العربية وآدابها) ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، ٢٠١١ م.

(٢) مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد ، عبد الله العلايلي : ٢١٠ ، القاهرة ، المطبعة العصرية (د.ت).

(٣) الحشر :

الحشر وصف لحدث من أحداث يوم القيامة ، ويكون بعد البعث حيث يجمع الناس إلى مكان ليسألوا عن أعمالهم التي عملوها ، " يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ" [ق:٤٤] .

نقول : حشرهم ، يحشرهم ، حشرا ، جمعهم ومنه يوم المحشر "(١). " وقيل أصل الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم"(٢).

والفرق بين الجمع والحشر : أن الحشر هو الجمع مع السوق ، والشاهد قوله تعالى :"وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ "[الشعراء:٣٦] ، أي ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك ، ومنه يوم الحشر : لأن الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف "(٣) ، وعلى ذلك فإذ يختص الجمع بسياقات التجميع و التلاقي والحشد والاصطفاف ، يختص الحشر بسياقات الجمع والسوق .

ولاختصاص حدث الحشر بالحركة التي يداخلها عنصر الإكراه كثر ورود الحدث في سياقاته بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجدد " قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم" [آل عمران : ١٢] ، " والذين كفروا إلى جهنم يحشرون " [الأنفال٣٦].

والحشر فعل يدل على الشدة والقوة ، ويتمان بنقل الإنسان إلى مكان ضيق يحاصر فيه ... " وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " [البقرة : من الآية ٢٠٣] ، ... والحشر أيضًا يكون وجها لوجه من أجل الحساب والثواب ... والمحشور لا حول له

---

(١) لسان العرب : ١٩٠/٤ جذر (حشر).

(٢) مفردات الراغب : ٢٣٧.

(٣) الفروق اللغوية : ١٤٤.

ولا قوة لأنه لا يملك قوة يدافع بها عن نفسه "[1] ، ومن ثم فالحشر حدث دال على طلاقة قدرة القادر ، وفي البحر المحيط في تفسير قوله تعالى " ذلك حشر علينا يسير " تقديم الظرف يدل على اختصاص يعني : لا تيسير مثل ذلك اليوم العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن "[2].

الحاء في (الحشر) صوت ضعيف ، مخرجه (الحلق) يوحي بخفاء هذا الصوت – لولا بحة فيه – ولأن مخرج الحاء من الداخل فإنها تحتاج إلى جهد عضلي وكذلك عملية الحشر .

ولعل عنف حركة الحشر يتمثل في نطق الحاء من الحلق ، فالحاء فيما يبدو تخرج باحتكاك بجدران الحلق ، وهذا مماثل لحركة الحشر العنيفة وما فيها من احتكاك .

صوت الحاء استطاع أن يصور المعنى ، وحال الخلائق وأصواتهم وهم يقادون ، حيث ولد هذا الصوت معان نفسية ودلالات شعورية لأنه صوت مهموس احتكاكي.

وإذا أنعمنا النظر في صوت الشين ، وهو صوت لثوي حنكي رخو مهموس وهو للتفشي ، لأن الهواء يتفشى عند ارتفاع طرفي اللسان إلى مؤخر اللثة ومقدم

(١) أفعال الحركة الانتقالية في القرآن : ٨٩ .ويجتمع الحشر في دلالته الحركية مع أفعال (أسر – حصر) وهي أفعال الحبس والمنع وعدم الحركة . وتكون الحركة فيها إلى الأمام وبشكل تقدمي ، ويحمل الفعل دلالة الوعيد للكافرين ، حيث يحشر الناس للحساب . وإذا كانت الحركة للحساب والبعث كانت سريعة " أفعال الحركة الانتقالية في القرآن : ٢٧.

(٢) الأساس فى التفسير ، سعيد حوى : ٥٤٦٥.

الحنك الأعلى عند نطقه ، فهو يصور تفشي الحدث واتساع مداه ، فيصور انتشار الخلائق ليوحي بهول المنظر الممتد توافقا مع رخاوة وامتداد الشين .

صفة التفشي في صوت الشين تحاكي حركة المجموع المساق واضطرابه ، حيث إن" بعثرة النفس أثناء خروج صوت هذا الحرف تماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار والتخليط "[١] ، ما يوحي بسعة أرض المحشر ، وكثرة الخلائق .

ومخرج الشين غار الفم [٢]، وهو وسطه ومتسعه [٣]، مما يوحي بحالة التقدم نحو الأمام ، أي نحو الخارج ، حيث تبدو علاقة انفتاح حسي ونفسي ، بين مجموعة من الناس تجمع بينهم مشاعر متقاربة وحركة خارجية ملموسة . يتأرجحون بين الخوف والرجاء ، والرغبة في الفرار وفقدان الطواعية ، مما يجعل فونيم الشين الأنسب هنا ، حيث يعبر عن هذه المشاعر والأحداث المرافقة لها لأن مخرجه لا يقع نحو الداخل ولا في الخارج بل هو في نقطة وسط بينهما . ولذا فهو أقدر على تصوير الحالات الداخلية والخارجية .

أضف إلى ذلك أن صوت الشين القابع في وسط الكلمة الساكن يكشف عن حالة الضعف التي تعتري الحشد المساق لما يتمتع به من صفتي الهمس والرقة .

أما صوت الراء الذي يتذبذب بين الشدة والرخاوة ، والتفخيم والترقيق والجهر فيماثل حركة التوتر والاضطراب والاهتزاز النفسي والجسدي لحشد يستقبل الحساب ، مكررا هذه الحالات .

---

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٠١.

(٢) مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان : ١٢٩ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،١٩٨٦م.

(٣) علم الأصوات اللغوية ، منف مهدي الموسوي: ٨٧ ، منشورات جامعة السابع من إبريل ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٣ م.

ووجود هذا الصوت التكراري الترددي هنا يساعد على تجسيم صورة الحدث المكرر ، حيث تتتابع في نطقه طرقات اللسان على اللثة تتابعا سريعا حتى يكاد يصور بجرسه الحركة المتتابعة السريعة في الحشر .

(٤) يوم الفصل :

الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى تكون بينهما فرجة "[١].

وفي اللسان " الفصل : الحاجز بين الشيئين وفصل بينهما فصلا فانفصل وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع ... والفصل ، القضاء بين الحق ، والباطل "[٢]. و في التحرير و التنوير : " الفصل : تمييز الحق من الباطل بالقضاء والجزاء إذ بذلك يزول الالتباس و الاشتباه و التمويه الذي كان لأهل الضلال في الدنيا فتتضح الحقائق على ما هي عليه في الواقع "[٣].

قال القرطبي:" يوم الفصل هو يوم القيامة وسمي بذلك لأن الله تعالى فصل فيه بين خلقه ... فهو الوقت المجهول لتمييز المسيء من المحسن والفصل بينهما فريق في الجنة وفريق في السعير "[٤].

فهو يوم فصل الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ، وفيما كانوا فيه يختصمون ، " يقال : فصل بين الخصمين إذا ظهر الحق على أحدهما فزال تعلق أحدهما بصاحبه فتباينا "[٥].

---

(١) المفردات : ٤٢٦.

(٢) لسان العرب : ١١٢/٧.

(٣) التحرير و التنوير : ٢٩ /٤٢٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن :١٤٧/١٦.

(٥) الفروق اللغوية : ١٥١.

" يوم الفصل : يوم البعث للجزاء . والفصل : التمييز بين الأشياء المختلطة وشاع إطلاقه على التمييز بين المعاني المتشابهة والملتبسة فلذلك أطلق على الحكم ... فالجزاء على الأعمال فصل بين الناس بعضهم من بعض . وأوثر التعبير عنه بيوم الفصل لإثبات شيئين :

أحدهما : أنه بين ثبوت ما جحدوه من البعث والجزاء وذلك فصل بين الصدق وكذبهم .

وثانيهما :القضاء بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اعتدى به بعضهم على بعض "(١).

في سورة (المرسلات) يتكرر ذكر يوم الفصل مرات ثلاث ، حيث تنتشر في محيط السورة تلك الثنائيات التي يمهد السياق للفصل بينها بقوله تعالى : " والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . و الناشرات نشرا . فالفارقات فرقا " [الآيات :١:٤]، قال الزمخشرى : " فالفارقات فرقا . ففرقن بين الحق والباطل "(٢). إذ تعرض السورة مشاهد الدنيا والآخرة ، و حقائق الكون والنفس، وتتحدث عن الأولين و الآخرين " ألم نهلك الأولين . ثم نتبعهم الآخرين " [الآيتان :١٦-١٧]، وتذكر أحوال المكذبين والمتقين "ويل يومئذ للمكذبين. إن المتقين في ظلال وعيون" [٤٠-٤١]... وجميعها ثنائيات تمهد في سياقها أو تأتي عقب(يوم الفصل) ، فهو يوم الفصل بين الأمور فصلا لا شبهة فيه .

يكشف الفاء في حدث " الفصل " عن انفلات مهلة العمل ، فثمة انفلات في الفاء للهواء من بين الأسنان والشفة رغم اقترابهما من بعضهما وكأنما الأنامل

(١) التحرير والتنوير : ٢٩/٣٠.

(٢) الكشاف : ١١٦٨/٢٩.

تحاول القبض على منفلت ضائع ،كما أن ما تميز به الفاء من صفة الهمس يجسد السكون الذي يلف المكان في انتظار القرارالمصيري ، فالصخب والاختلاط والسعي والضجر كله اختفى وتسرب كتسرب هواء الفاء عندالاحتكاك ، ليحل السكون والصمت الذي ألم بالخلائق في وقفتهم الحائرة في لحظة العجز العميقة، إضافة إلى أن صفة الاحتكاك فيه ، تجعله ثقيلا ، ما يناسب وقع حدث الفصل .

الفاء في (الفصل) صوت مهموس مرقق ، وبالنظر إلى المفردات التي تبدأ بصوت الفاء نجد أن كثيرًا من هذه المفردات تحمل في طياتها معنى الانفتاح والانفراج والافتراق ... [ومنه] الفصل وهو : تمييز الشيء وإبانته عنه ، والفاصل ما يفرق بين جزئي الشيء "[1].

أما صوت الصاد فيتميز بين أصوات الصفير بصفتين و هما :إطباقه الذي هو صفة قوة . و سعة مخرجه مقارنة بالسين ، فهاتان الصفتان تدنيان الصاد من مشهد الفصل ، وما يلابسه من قوة تجاه الخلائق ، حيث انطلاق وهيمنة الذات الإلهية ، وانتشار تاثيراتها في الجمع المحيط ،كما أن الصاد تضخم الشعور بالعظم من خلال ملمحها التمييزي الذي يمكن أن ننسب إليه إيحاء المبالغة في إيقاع الحدث أو الوصف ، ألا وهو التفخيم "[2] ، أضف إلى ذلك مدلول صوت الصاد على مدخل الشيء ومخرجه نحو : صدر ، فصل ، نقص .

(١) الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني ، نجيب على عبد الله السوري : ١٦٣-١٦٤ ، بحث منشور فى مجلة الدراسات الاجتماعية ، المجلد ١١٨ ، العدد ٣٦ ، عدد خاص ، مارس ٢٠١٣ م ، كلية العلوم الإدارية والإنسانية ، صنعاء.

(٢) البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، تمام حسان : ٢٩٣ ، ط١ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٣ م.

أما اللام المجهور المتوسط الشدة فهو من الأصوات الرنانة ، عالية الوضوح . وهو صوت جانبي مرتكز في نطقه على اللثة ومقدم الحنك ، أي عند نطق هذا الحرف يتجه النفس إلى الجانبين ليرتبط في عملية النطق بحرف يتسع المجرى الهوائي للجهاز النطقي عند النطق به ؛ ليمثل نهاية حالة الانفصال والتمييز حيث يتشعب الخلائق إلى فريقين بعد الفصل ، أهل الجنة وأهل النار،الحق و الباطل ، الظالم و المظلوم...

واللام صوت منحرف ينبه لعظم عواقب الانحراف ، ويوحي بقوته على القوة إيحاء بالعقاب الشديد الذي توعد به الله المخالفين .

وللصامت الرنان اللام تمكنه القوي من الأذن ، فهو من أوضح الأصوات اللغوية في السمع ، وهو برنينه يؤكد إلحاحا على ذاكرة المتلقي ،ولنا أن نلتمس في اللام إيحاء آخر ، فإذا كان من الأصوات (المائعة/الرنانة) فإن من شأن هذا الملمح وما ينتج عنه من السهولة واليسر أثناء إنتاج اللام ، أن يدعم الدلالة على حدوث عملية الفصل بسهولة ويسر دون مشقة ،وعلى هذا النحو أكسب صوت اللام للفظ " الفصل " قيمة تعبيرية أضفت إيقاعا صوتيا منسجما مع الحدث، ناسب ختام مشهد الفصل .

رابعاً : العدول الصوتى بالحذف :

تحذف من بنية الكلمة أصوات في مواضع معينة من القرآن ، ويكون الحذف لغرض جمالي ودلالي . ومن ذلك ما وقع في لفظي " التنادي " والتلاقي " من ألفاظ يوم القيامة .

فعلى صيغة التفاعل [1] ورد يوما " التناد " و " التلاق " في القرآن الكريم ، علما على يوم القيامة ، ورصدا لظاهرتين من ظواهر هذا اليوم، وهما ظاهرتا : التنادي والتلاقي.

(١) يوم التنـــاد :

لم يرد ذكر (يوم التناد) إلا فى موطن واحد في القرآن، قال تعالى : " ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد " [غافر:٣٢].

ندى القوم إذا اجتمعوا في النادى وحضروا ، وندى الشيء تفرق والتنادي التفرق والتناحر.

قال الطبري :" واختلف القراء في قراءة قوله " يوم التناد " فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار " يوم التناد " بتخفيف الدال وترك إثبات الياء بمعنى التفاعل من تنادى القوم تناديا كما قال جل ثناؤه :" ونادى أصحب الجنة أصحب النار .. " [الأعراف : ٤٤] ... فلذلك تأوله قارؤ ذلك كذلك ... وقرأ آخرون " يوم التناد " بتشديد الدال بمعنى التفاعل من النذ وذلك إذا هربوا فندوا في الأرض كما تند الإبل إذا شردت "[2].

---

(١) الوزن تفاعل يدل على " المشاركة بين اثنين فأكثر " التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٤ م.

(٢) تفسير الطبري : ٢٤/٦٠-٦١ ، دار الفكر ، بيروت.

فالقراءة الثانية وهي قراءة التشديد تأتي من " ند البعير ندودا إذا شرد ، وندت الإبل تند ندا ونديدا وندودا وتنادت : نفرت وذهبت شرودا فمضت على وجوهها "[1].

قال الزمخشري :" وقرئ بالتشديد : وهو أن يند بعضهم عن بعض كقوله تعالى :" يوم يفر المرء من أخيه "[عبس:٣٤] ، وعن الضحاك : إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يلقون قطرا من الأقطارإلا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديا : أقبلوا إلى الحساب "[2].

ومن ثم فالتناد لفظ يبرز معنيين متضادين يتوافقان معا وواقع يوم القيامة ، واقع الاجتماع والتفرق ، حيث أكسب وروده في الآية فاعلية دلالية بما يحمله من حس تصويري اكتسبه من مزية التضاد ، فللاجتماع حال ومقال ، وللتفرق حال ومقال .

هذا التضاد بدا واضحا مقروءا من خلال حذف الياء الذي؛ إذ يعمل على حفظ التوازن في موسيقى الآيات ، فإنه يناسب " حالة البشر التي هي في حالة الذهول لا التغني"[3]. يعزز السياق اللفظي هذه المعاني و يعضدها بسياق اللحاق "يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد"[غافر :٣٣].

(١) البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي : ٢٩٨/٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت.

(٢) تفسير الكشاف : ٩٥٦/٢٤.

(٣) جماليات الموسيقى في النص القرآني ، كمال أحمد غنيم ، رائد الداية :٤٧ ، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ، المجلد العشرون ، العدد الثاني ، يونيو ٢٠١٢ م.

(٢) يوم التـــلاق :

قال تعالى:"رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ"[غافر:١٥].

والتلاقي مأخوذ من اللقاء والالتقاء .

قال الراغب : " اللقاء مقابلة الشيء ومصادفته معا ، وقد يعبر عنه عن كل واحد منهما "(١).

وقال الفيومي :" ... وكل شيء استقبل شيئا أو صادفه فقد لقيه "(٢).

قال الطبري : " يوم يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض وهو يوم التلاق وذلك يوم القيامة "(٣).

قال صاحب زاد المسير :" والمراد بيوم التلاق يوم القيامة .. وفي سبب تسميته بذلك خمسة أقوال :

أحدها : أنه يلتقي فيه أهل السماء والأرض .

والثانى : يلتقي فيه الأولون والآخرون .

والثالث : يلتقي المظلوم والظالم .

والرابع : يلتقي فيه الخلق والخالق .

---

(١) المفردات : ٥٠٧.

(٢) المصباح المنير : ٣٣١ – معجم عربي للفيومي–دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ،٢٠٠٠م.

(٣) تفسير الطبري : ٥٠/٢٤.

والخامس : يلتقي المرء بعمله "[1].

فما يحيل عليه معنى التلاقي هو الجمع،فهو يوم التلاقي لأنه يوم الجمع،لكنه جمع مطلق بما أوحى به لفظ "التلاق".

وهو بالأحرى تلاق لا مودة فيه ولا محبة ، بل هو تلاقي التلاوم والتحاور والتكاشف . حيث يبدو أمر التغابن بين الخلائق ، ويعظم هول هذا التلاقي بانكشاف خفايا العمل .

وكان من جمالية الموسيقى القرآنية أن حافظت بحذف الياء على دقة هذه الدلالات ، فهذا هو التلاقي الذي لا مرحبا به " فإن التلاقي الحاصل فى ذلك اليوم له من الرهبة ما يشغل الناس عن بعضهم فهو تلاق وما هو بتلاق من شدة ما يفزعون "[2].

والدال على قصدية هذه الدلالات السياق اللفظي التالي "اليوم تجزى كل نفس بما كسبت" [من الآية ١٧] ويبرز الصوت اللغوى وجوه التمايز في إطلاق لفظي " التناد " و " التلاق " علما على يوم القيامة ، على الرغم من اتفاق الصيغتين : الصرفية والصوتية ، واتفاق صوت البداية (التاء) الدال فى كليهما على القوة والشدة ، وانتهاء اللفظين بصوتين متماثلين من حيث الشدة والقلقة وهما (الدال) و(القاف) .

التناد من النداء وهو خطاب موجه للبعيد غالبا ، ولذا فالفعل منسجم مع أصوات المادة ، حيث ترتكز الكلمة على صوت الترنم النون وجهريته المتبوعة

(١) زاد المسير في علم التفسير ، عبد الحميد بن علي بن محمد الجوزي : ٢١١/٧ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط ٣.

(٢) جماليات الموسيقى في النص القرآني ، كمال أحمد غنيم ، رائد الداية :٤٧.

بجهرية ألف المد الممتد ، محاكاة لأصوات من يتصايحون (يتنادون) ، وتختم بالدال الذي قد يوافق " القاف " فى الشدة والقلقة إلا أنه يخالفها في كونه مجهورا ليطبع هذا الصوت لفظ التناد بطابع القوة والشدة والعنف ، التي هي من صفات هذا الصوت ، التي تأتي عبر نطقه من مخرجه ، بما يماثل حدث التناد .

بينما يرتكز لفظ " التلاق " على صوت اللام المتبوع بالمد ، وما يصوره هذا الصوت الذي يتجه النفس حين النطق به إلى الجانبين ، بما يمثل طرفي اللقاء ، ويختم بصوت القاف وهو الصوت الذي يدل على الاصطدام والانفصال والقطع أينما كان موقعه من الكلمة .

القسم الثاني

ألفاظ تقاربت دلالتها واختلفت أصواتها

يقف هذا الشطر من الدراسة لدى الألفاظ المتناظرة أو المتقاربة الدلالة من أسماء يوم القيامة وصفاتها ، والتي اختلفت صيغتها الصوتية ، للوصول إلى الفروق الدلالية ودقائق المعانى بينها ، واكتشاف مدى ما للقرآن من الدقة في اختيار ألفاظه ؛ إذ يستقل كل لفظ فيه بمعنى، في إطار ما يثيره الاختلاف الدقيق بين دلالات الألفاظ و أصواتها من وجوه التمايز، تعلقا بالسياق .

أولا : يوم البعث / النشور / يوم الخروج

يقول ابن منظور :" وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث . وبعث الله الخلق يبعثهم : نشرهم "[1] ، وقيل النشور مرادف للبعث في المعنى ، يقال : نشر الميت نشورا إذا عاش بعد الموت وأنشره الله أحياه "[2].

اختص لفظ البعث في جانب مرونة اللفظ واتساعه للمعاني، إذ السياق يتحكم في تحديد الدلالة في ضوء ما يمتلكه اللفظ من استيعاب للمعاني ، فقد جاء البعث بدلالة الإخراج " والموتى يبعثهم الله " [الأنعام : من الآية ٢٦] و السياق يقصد بالبعث انشقاق القبور و خروج الناس للحساب بعد إعادة الأجساد التي أكلها التراب ، كماجاء بمعنى الإحياء " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة [لقمان:٢٨]، وبمعنى النشوريقول ابن منظور : " وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث ، وبعث الله

(١) لسان العرب : ١١٧/٢.

(٢) القيامة الكبرى ، عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ،١٩٩٠ م.

الخلق يبعثهم : نشرهم "[١]. وهذه الدلالات جميعًا تنطلق من الدلالة المعجمية للبعث إذ هو الإرسال والإثارة والتوجيه .

قال أبو هلال العسكري في الفرق بين البعث والنشور :" بعث الخلق اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف ومنه قوله تعالى :" من بعثنا من مرقدنا " [يس:٥٢] ، والنشور اسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلاق ، ومنه قولك : نشرت اسمك ، ونشرت فضيلة فلان ، إلا أنه قيل : أنشر الله الموتى بالألف ، ونشرت الفضيلة والثوب للفرق بين المعنيين "[٢].

وبتأمل النصوص القرآنية التي ترد فيها مادة " بعث " نجد أن حالتي الخروج والنشور (الظهور) ليستا الأصل المقصود ، وإنما حالة الإحياء بعد الموت والتي تقترن بالخروج من القبر والظهور . ولذا فقد اقترنت الكلمة عند ذكرها بالخلق الأول أو بالموت [٣] ، مما يبين معناها المتعلق بإعادة بعث الميت ، يقول ابن منظور : " وتأويل البعث : إزالة ما كان يحبسه عن التصرف والانبعاث "[٤].

فالبعث إعادة إحياء الناس بعد قبضهم ، والإحياء يكون للأجساد التي فقدت روحها والتي هي سر حياتها ، فغدت أجسادا فانية أو بالية ، فيكون البعث في معناه العام إعادة الخلق .

---

(١) لسان العرب : نشر.

(٢) الفروق اللغوية : ٢٦٨.

(٣) يتجلى ذلك واضحا في المدونة القرآنية ، التي يأتي فيها لفظ " البعث " مقابلا لحالات الموات والسكون والبلى التي يضمها لفظ " موت " وما في حقله الدلالي مثل : قبور ، مرقد عظام ورفات.

(٤) لسان العرب : ١١٧/٢.

وقد شكلت فونيمات الباء والعين والثاء بما تحمله من دلالات وإيحاءات بنية صوتية تعبر عن المعنى الذي يشير إليه حدث البعث (حسبما سبق بيانه) .

أما النشر في اللغة فيأتي بمعنى البسط والانتشار ، وتقلب الإنسان في حوائجه ، نقول رأيت القوم نشرا أي منتشرين"[١]، وجاء القوم منتشرين : أي متفرقين"[٢]، فالنشر يعني التفرق ، وفي الاصطلاح ، يطلق ويراد به معنى البعث وهو انتشار الخلائق من قبورهم إلى الموقف للحساب والجزاء ، يقال "أنشر الله الميت فنشر ، وقيل نشر الله الميت من نشر الثوب ، وأنشره : أحياه "[٣].

ففي أصل النشور معنى الظهور والانتشار ، وهذا شأن المبعوثين ، إذ يظهرون وتعرض أعمالهم" فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور"[فاطر:٩]، حيث يرد النشور في سياق الجمع والتشبيه بين حالتي النشوروظهور النبات وانتشاره بعد الركود والتوقف عن العمل ، فالنشور بسط الأموات يوم القيامة بعد إحيائهم وإخراجهم من القبور.

تتمثل هذه الدلالة في بنية الكلمة الصوتية التي تعتمد على رنين النون وغنتها وظهورها وما تثيره من دلالة الانكشاف والبروز ، والشين وما يميزها من التفشي الذي يعني الانتشاروالاتساع ، محاكاة لبعثرة النفس أثناء خروج هذا الصوت ليماثل الأحداث التي فيها بعثرة ، يضاف إلى تلك الصفة ما يمثله هذا الحرف الاحتكاكي من طول زمني للحدث مماثلا لطول نطق الحرف ، حيث تتسع الرقعة الزمنية مع حرف اللين الواو الذي يثير دلالة اضطراد الحدث وتوغله ، حيث

(١) الصحاح في اللغة : الجوهري : جذر (نشر).

(٢) لسان العرب : نشر.

(٣) بصائر ذوي التمييز : ٥/٥٤.

يحصل صوت الواو من تدافع الهواء في الفم ويوحي بالبعد إلىالأمام ، إضافة لإثارته للحاسة البصرية . إذ دل بجرسه على حالة الانتشار والتوزيع ، وجاء متناسبامع الانتشار في مساحة الأرض ، وتشابك الخلائق ، بما يتناسب مع جرس الواو المضطرب .

ثم يأتى صوت الراء الذي يتمفصل صوته ليبرز الصور الصوتية المماثلة للصور المرئية التي فيها ترجيع وتكرار، وتأرجح ذات اليمين وذات الشمال " [1]، فيوحي بالتحرك المتخبط المتكرر .

أما يوم الخروج الذي وصف به يوم القيامة ، فقد اختص بدلالة الخروج الذي هو نقيض الدخول ، والخروج:مغادرة الدار أو البلد ، وأطلق الخروج على التجمع في المحشر لأن الحي إذا نزحوا عن أرضهم قيل : خرجوا .. ويوم الخروج علم بالغلبة على يوم البعث أي الخروج من الأرض"[2]، قال الألوسي : " يوم الخروج من القبور وهو من أسماء القيامة "[3] .

والخروج يعني البروز من المقابر ، وهي مرحلة من أصعب مراحل البعث ، وأكثرها استحالة في ذهن الكافر ، أما البعث فهو عملية أشمل ، فالخروج ليس إلا جزءا منه ، أو هو مرحلة من مراحل البعث تبدأ بالخروج من القبر وتنتهي بتلقي الجزاء . فالعلاقة بين البعث و الخروج من قبيل التضمين لا الترادف ؛ إذ يقع الخروج ضمن البعث .

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ٨٤.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٣١/٢٦.

(٣) روح المعاني : ٣٤٣/٣.

ويمكن تبين دلالات لفظ الخروج عبر السياقات التي ورد فيها اللفظ . ففي قوله تعالى : " ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد و أحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج"[ق:٩-١١] ، تبرزفي السياق دلالة الخروج إذ الله " الذي هو بعظمته مختص بهذا المعنى ، وهو بعث الموتى من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا لا فرق بين خروج النبات بعدما تهشم في الأرض ترابا ... وبين إخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا في الدنيا "[1]، حيث ينشئ سياق السباق قرائن لفظية تكرس لفظ (الخروج) " أنبتنا جنات وحب الحصيد" " النخل باسقات" " ، فيحمل لفظ الخروج بدلالة تطابق دلالة الخفاء والغور" ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون"[الروم ٢٥]، لينفتح السياق اللغوي بدلالات عديدة ، تصور بجدوى الترشيح الدقيق للفظ تبعا للسياق .

الخاء في "خروج " هو الصوت الحلقي الأخير ، وهو رخو ، مهموس ، يقول عنه العلايلي : إنه "للمطاوعة والانتشار والتلاشي " ، ويدل على القطع والشدخ بما يماثل أول الخروج ، ومحاولة التخلص من ركام القبور وسطوحها، فصوت الخاء المفخم يحاكي قوة دفع الخارج من جدثه للسطح المتصلب .

أما الراء فتعمل على تصوير الإنسان محاولا الصعود من قبره مرة بعد أخرى ، وحرف الراء هو الحرف الحركي الذي قيل فيه إنه " من أصوات الحروف

(١) نظم الدرر : ٢٥٢/٧.

هو أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد "[1].

ويعكس المطلق الواو حالة التقدم إلى الأمام ، حيث يتناسب الإيقاع الموسيقي لهذا المطلق مع هول الموقف في تلك الساعة التي يؤذن فيها بخروج الأموات أحياء من قبورهم بعد طول إقامة ومكث واستبعاد لهذا الخروج ، وقد ارتبطت الواو بدلالات تتناسب مع رمزيتها الصوتية ، حيث تلخص في "خروج" حالة الرهبة والقلق التي تعم أحياء كانوا عما قليل أمواتا فى القبور .

أما الجيم بشدتها وجهرها فتصور الإنسان وهو يبذل أخر ما لديه من جهد يحرره من جدثه . على ما توحي به من الشدة والقوة . تضاف إليهما صفة القلقلة التي تبرز مع الجيم حالة الحركة والاضطراب والاهتزاز التي عليها جموع النازحين من القبور ، " يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ " [المعارج : ٤٣] .

وعلى هذا النحو كانت الخاء مع الراء والجيم بشدتهما عونا على تصوير حدث الخروج ، إضافة إلى الصوائت القصيرة والطويلة متمثلة في الضمتين المتواليتين والمد بالواو ، والتي تجعل الأصوات تخرج في دفقات مدوية متوالية، فتصور حالة الاندفاع والتوالي في الخروج ، نظرًا لما عرف من قوة الضمة وثقلها ، وإيحاء الواو بالتقدم أماميا ، إضافة إلى ما تدل عليه من عظم شأن حالة " الخروج " ، ذلك أن للضم دورا فى إظهار الموقف وتصوير جسامته في صورة صوتية جمالية مناسبة .

(١) خصائص الحروف العربية و معانيها :٨٤ . وانطلاقا من خاصية التمصل هذه في صوت الراء و في مفاصل الجسد ، قد أدخل العربي هذا الحرف في معظم الأعضاء التي تتصل بغيرها بمفاصل غضروفية منها ،الراس ، الرقبة ، المرفق ،الركبة ..." السابق :٨٥.

ثانياً : يوم الدين / يوم الحساب

يـوم الـــدين :

تذكر كتب الوجوه و النظائر للفظ (الدين) أحد عشر وجها و هي: دين الإسلام ، التوحيد ، الحساب ، الجزاء ، الحكم، الطاعة ، العادة ، الملة ، الحدود ، العدد ، القرآن .

وجذر الكلمة عند ابن فارس يدل على الانقياد ، يقول " الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها ، وهو جنس من الانقياد والذل "[1]. قال ابن كثير :" الدين الجزاء والحساب "[2] ، وفي البحر المحيط " الدين الجزاء ، دناهم كما دانوا ... ، والحساب " ذلك الدين القيم " [الروم:٣٠] .... ، والقضاء " وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ" [النور :٢] ... ، والعادة ... وكنى بها [في] [مالك يوم الدين] عن العمل قاله الفراء ، والملة " رضيت لكم الإسلام دينا " [المائدة :٣] ... والقهر ومنه المدين للعبد ، والمدينة للأمة ... وحكى أهل اللغة دنته بفعله دينا بفتح الدال وكسرها جازيته ... والدين السياسة والديان السايس ... والدين الحال ... والدين الداء من " اللحياني" وأنشد : يا دين قلبك من سلمى وقد دينا ... "[3].

ففي الدين معنى : الجزاء ، والحساب ، والقضاء ، والطاعة ، والعادة ، والملة ، والقهر ، والسياسة ، والحال ، والداء . ومرد الوجوه جميعا إلى الأصل وهو

---

(١) مقاييس اللغة : (دين)٣١٩/٢.

(٢) تفسير ابن كثير : ٢٨/١.

(٣) البحر المحيط : ١٣٦/١ .يقول أبو هلال العسكري :" وأصل الدين الطاعة ، ودان الناس لملكهم ، أى أطاعوه . ويجوز أن يكون أصله العادة ، ثم قيل للطاعة : دين ، لأنها تعتاد ، وتوطن النفس عليها " الفروق اللغوية:٢٢١.

الانقياد ، و منه يوم الدين ، ففي قوله تعالى " يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق " [النور ٢٤-٢٥] إذ ينحو السياق باللفظ منحى الحساب فإن مرد ذلك إلى العلاقة بين الدين والحساب . إذ ترك الانقياد يعقبه الحساب ، وفي قوله تعالى " مالك يوم الدين "[الفاتحة : ٤]، حيث يقصد بالدين الجزاء ، فذلك لما بين الجزاء والحساب من علاقة ؛ إذ الجزاء عقاب و هو مترتب على الحساب "(١).

الدين هو الأمانة التي قبل الإنسان أن يحملها طوعًا ، فاستأمنه الله عليها ، وهي أمانة الاستخلاف في الأرض ، فهذه الأمانة لها يوم محدد ترد فيه هو يوم الدين ، فهو يوم الدين باعتبار الأمانة دين ، ويوم ينتهي الاستخلاف وترد الأمانة يكون يوم الدين أي يوم المحاسبة على ما تم تطبيقه فيجزى عليه ، وهو يوم الدين ؛ إذ يدين الجميع ويخضع لأمر الله .

يميز القرآن الكريم بين يوم الدين ويوم الحساب ، ففي التحرير والتنوير في تفسير قوله تعالى :" مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" : " إيثار لفظ الدين (أي الجزاء) للإشعار بأنه معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزي عليها في الخير والشر ، وذلك العدل الخاص ، قال تعالى : " اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم " ، فلذلك لم يقل ملك يوم الحساب بوصفه بأنه ملك يوم العدل الصرف "(٢).

فتركيب يوم الدين يشير إلى ملمح دلالي وهو أن الله يجزي كل نفس بما أسلفت ، فهو يوم إدانة الخلائق ومجازاتهم وفق أعمالهم، خيرا أو شرا ، " ولما كان

(١) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد : ١٤٠ ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩ م.

(٢) التحرير والتنوير : ١/١٧٧.

المثيب و المعاقب يومئذ هو الله وحده كان جميلا رائعا قوله (مالك يوم الدين) [الفاتحة :٤]"[١].

كلمة (الدين) تتألف من حروف ذات متانة ورصانة وجمال ، وتتحرك بإحدى الحركات الثلاث . يتميز صوت الدال فيها بالصلابة والدوي ، وفيه شدة ، مبعثها النبرة الشديدة لهذا الحرف ، فهو "صوت ناتج من انفتاح مخرج الصوت الشديد "[٢] ، وهو صوت قوي منحبس "[٣] ، خلف المخرج المنغلق يخلق انفجارًا قويا ، يضاعف هذا الانفجار مع التشديد في الدال ، الذي أسهم في تكثيف الدلالة وأحدث هزة صوتية ، تزيد من تنبيه الأذهان ، وهذا الصوت بصلابته التي يدعمها التضعيف كأنما يوحي بجو العناد والاستكبار .

وينتهي اللفظ بصوت النون معتمدا على رنينيته وغنته وظهوره ، وهو صوت رخو مجهور ممتد ، وقد توصل بعضهم من خلال بحثه في الصوت اللغوى ودلالاته في القرآن الكريم إلى أن الغنة " صوت دال على الإلتزام ومكابدة الأمر" [٤] ، وأنها تستخدم للغضب كما تستخدم للتطريب .

والنون خاصة من الفونيمات الشعورية لأنه يعبر عن دواخل الأشياء والصميمية ، أي أنه صوت ينبعث من الصميم ليعبر عن الألم العميق ؛ إذ إنه

(١) من بلاغة القرآن : ١١٩.

(٢) المدخل إلى علم الأصوات العربية ، غانم قدوري الحمد : ١٢٢ ، منشورات المجمع العلمي بغداد ٢٠٠٤م.

(٣) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس : ٤٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٥ م.

(٤) الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم ، عبد الله محمد فريد : ١٣٩ ، دار الهلال ومكتبتها ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨ م.

أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن الألم والخشوع ، ويوحي بالحركة من الخارج إلى الداخل وهو النفاذ في الأشياء "[1] ، فصوت الغنة في النون كأنما يسمع منه أنين الألم .

أما المطلق الياء فيحمل صفة الشدة خاصة في اجتماعه بالجهريين الدال والنون . ومن ثم فلفظ "الدين " يعتمد القوة في وقعه الدلالي ، فيوحي بالرهبة المقرونة بالتأمل ، مع الدال المضعف المتوعد المتبوع بالجهريين الياء والنون .

يوم الحساب :

تذكر كتب الوجوه والنظائر خمسة أوجه للحساب هي : العدد ، الكثير أوالكافي ، المحاسبة ، التقتير ، الجزاء .

الوجه الأول : وهو إحصاء الأعداد واستعمالها أصل في معنى الحساب [2].

الوجه الثاني : وهو الكثير أو الكافي ويبرز في قوله تعالى :"جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا "[النبأ:٣٦]، وحقيقة الدلالة لا تخرج عن معنى العد والإحصاء بقدر الكناية أو أكثر من ذلك ، وشرح الكلمة بالكثير أو الكافي من مقتضيات المعنى ، وليس المعنى نفسه "[3].

الوجه الثالث : وهو المحاسبة ، كما في قوله تعالى "فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا"[الانشقاق:٨] ، وهو الآخر لا يخرج عن معنى الحساب ولفظه ، بل هو مصدر ثان من مصادر الفعل .

---

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٦٠-١٦١.

(٢) المفردات ، القاموس المحيط (حسب) ، نزهة الألباب :٣٥٠.

(٣) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد : ١١٩ .

الوجه الرابع : وهو التقتير ، ومثاله قوله تعالى : " يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ" [غافر:٤٠] ، وهذا الوجه أيضا لا يغادر معنى العد والإحصاء ، فرزق الجنة بغير عد ، وذلك كناية عن الكثرة "(١).

الوجه الخامس : وهو الجزاء ، كما في قوله تعالى : " إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا"[النبأ:٢٧] ، والجزاء هنا من مستلزمات المعنى ، وليس المعنى نفسه ، إذ يترتب على الحساب الثواب أو العقاب . فهم لا يرجون الجزاء ، لأنهم لا يؤمنون بأسبابه ، يقول أبو حيان في الآية :" لا يصدقون بالحساب فهم لا يؤمنون ولا يخافون "(٢).

ومن هنا نجد أن كلمة " الحساب " في الأوجه الخمسة تدور في فلك الأعداد وإحصائها حقيقة ، وما خروجها عن هذا المعنى إلا من قبيل الكناية أو التعبير المجازي عن غاية المعنى "(٣).

قال القرطبي :" معنى يوم الحساب أن الله يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة ويعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض فما يشق منها على الآخر حكم للمشقوق بحكمه الذي عينه للخير بالخير والشر بالشر "(٤).

في قوله تعالى " وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب " [ص: ١٦]، يستحضر السياق يوم الحساب ، حيث يرشح السياق اللفظي كلمة الحساب ؛ لأن

(١) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد : ١٢٠.
(٢) البحر المحيط : ٤١٤/٨.
(٣) الاشتراك اللفظي : ١٢٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٨٩/٥.

"القط النصيب والصك وكتاب المحاسبة ؛ لأنه قطعة من الورق والحساب قطعة من الأمور ، وهو يقطع فيه بما هو له "[١].

في كلمة " حساب " نتأمل كيف بدأ هذا المسمى بحرف الحاء التي هي من أقصى الحلق : مبدأ الصوت ، وانتهى بالباء التي هي من الشفتين وهي آخر مخارج الصوت ونهايته ، فجمع الحرفان بداية الصوت ونهايته ، كما يستوفي الحساب شتى الأعمال من بدايتها وحتى نهايتها .

فأصوات الكلمة تعين حالة الحساب ؛ إذ تبدأ من صوت الحاء الحلقي ، ومخرجه من داخل الجهاز الصوتي ، فتحاكي حالة تبدأ من العمق ، حالة ما يزال يجللها الخفاء ، وتنتهي بالباء المجهورة الشديدة التي توقع على اللسان نوعًا من التوقف الإجباري، وهذه الباء الحبسية مخرجها من الشفتين وهي آخر مخارج الصوت ونهايته ، وتدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغا تاما "[٢]. فالحساب حالة تبدأ غامضة وتؤول في الختام إلى غاية من الظهور والانكشاف ، وهي مسألة دقيقة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة . تحصر الأعمال كلها من بدايتها إلى نهايتها .

والحاء في الحساب تدل على السعة والانبساط ، ومثلها السين التي تدل على" السعة والبسطة من غير تخصيص"[٣]، مما يوحي بسعة الحساب وطول وقته وهو ما يعكسه المطلق الألف باستطالته وامتداده.

إضافة إلى ما في السين من الإسماع والصفير الذي يحمل دلالة التذكير والتنبيه لوقفة الحساب ، التي يزيدها عمقا صوت الألف .

---

(١) نظم الدرر :١٦ /٣٤٧.

(٢) مقدمة لدرس لغة العرب: ٢١٠.

(٣) مقدمة لدرس لغة العرب : ٢١٠.

ثالثا : الساعة / يوم الآزفة

الســـاعة :

السين والواو والعين يدل على استمرار الشيء ومضيه ، ومن ذلك الساعة يقال : جاءنا بعد سوْع من الليل ، أي بعد هدء منه ، وذلك أنه شيء يمضي ويستمر "[1] ، وساعت الإبل سوعا وتسيع سيعا : تخلت بلا راع ، وناقة مسياع : هي التي تدعو ولدها ، وانساع الماء جرى على الأرض .

والساعة جزء من أجزاء الليل والنهار ، والليل والنهار أربع وعشرون ساعة ... وهي تطلق في الأصل بمعنيين : أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا وهي مجموع اليوم والليلة ، والثاني : أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أوالليل "[2]. والساعة : الوقت الحاضر "[3] ، والساعة البعد [4].

وكلمة الساعة تقال في العربية لما يقع فيه الأمر العظيم الشديد الشاق . والساعة : القيامة ، وهو مجاز لسرعة الحساب "[5].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس : ٣١/٣ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د.ط.د.ت).

(٢) لسان العرب : ١٦٩/٨.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي : ٢٤١/٢١ ، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت (د.ت).

(٤) السابق : ٢٤٢/٢١.

(٥) السابق : ٢٤٢/٢١.

قال القرطبي " وسميت به القيامة إما لقربها ، فإن كل آت قريب ، وإما أن تكون سميت بها تنبيها على ما فيها من الكائنات العظام التي تقهر الجلود . وقيل إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة "(١).

وقد لا يقصد بالساعة يوم القيامة ذاته ، بل أصغر جزء زمني فيه ، فهي ساعة منه ، تظهر فيها أشراط قيامه " حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ " [الحج : من الآية ٥٥] ، فصل في الآية بين الساعة واليوم العقيم . واليوم العقيم هو يوم القيامة والساعة مقدماته .

وللساعة علامات وأشراط وفيها أمور عظام وأحداث ضخام ميزها بها النص القرآني عن سائر اليوم الآخر ، فبدا من ذلك أنها أول أيام الآخرة ، وأنها جزء يسير من يوم الدين ، يقول أبو هلال العسكري :" الساعة هي الوقت المنقطع من غيره "(٢).

وترد الساعة في النص القرآني تحقيقا لأمر البعث والقيامة ، هذا التحقيق المكتنف بسمتين أساسيتين هما : الاستئثار الرباني بعلم وقتها " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ " [الأعراف:١٨٧]، والمباغتة حين وقوعها " فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ " [محمد:١٨] ، مقترنين بقرب الوقوع " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ"[القمر:١] .

عبر هذه الزوايا يأتي التحدي في السياق القرآني بالساعة " آية من آيات الإعجاز النفسي في بث الدعوة : استخدم " الخوف من المجهول " أساسًا يقيم

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، محمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق الصاد بن محمد بن إبراهيم :١٢١٦، نشر دار المنهاج ، الرياض ، ط١.

(٢) الفروق اللغوية : ٤٨٨ .

عليه الفكرة في نفوس الناس ، ثم أخذ يبثها بالإيحاء المتكرر ، ليحصل في النفوس من ذلك اليقين بوقوعها ، فإذا بلغت النفس من الإيمان بالفكرة هذا الحد لم تكن في حاجة إلى معرفة زمان الساعة ، بل كانت هذه الساعة ماثلة لها تكاد تشغل فراغ الزمن كله ... فهي مشفقة منها ، في شغل بالاستعداد لها عن السؤال عنها ، وبهذا الأسلوب من المنطق الوجداني يواجه القرآن السائلين المستهزئين .. أما أن تقع الساعة بعد يوم أو بعد عام أو بعد ألف عام ، فهذا ما لم يشر إليه القرآن ، بل نسب " الاستعمال بالساعة " إلى " الذين لا يؤمنون بها " فبين أن السؤال عن الساعة أو استغراب زمنها هو ناشئ عن الشك في حقيقتها ، وأزال هذا الشك بأسلوبه في الإيحاء ، لتصبح الساعة قريبة كل القرب بمقاييس الوجدان لا بمقاييس الزمان "[1].

هذه الدلالات والإيحاءات التي أريد ترسيخها في الشعور والوجدان ، بدت واضحة عبر الدلالة الصوتية للفظ " ساعة " .

فخفاء هذا اليوم يرتسم في صوت السين الصامت المهموس الاحتكاكي ، الذي تلتقي الأسنان السفلى والأسنان العليا عند النطق به ، ولا يمكن للإنسان أن ينطقه وهو مفتوح الفم ، وهو أدل بجرسه الصوتي الاحتكاكي الهامس على تصوير حالة الهمس الخفي الذي يعكس رغبة إلهية في إخفاء وستر موعد القيامة ، مواكبا لحالة الشك والتردد والتعتيم البشري لحصول هذا اليوم "إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌأَكَادُ أُخْفِيهَا " [طه:١٥] .

(١) من وصف القرآن .. يوم الدين والحساب ، شكري محمد عياد : ١٠٣-١٠٤.

يتضافر مع ملمح الهمس في صوت السين ملمح الصفير الذي يعمل على إشاعة جو الإنذار خاصة مع تشديد السين الذي منح الصوت لونًا من الدوي الموسيقي الذي يبعث في النفس فزعًا ورهبًا .

تمتد هذه الحالة من الخفاء امتدادا يرتسم في سمة الانفتاح للمطلق الألف الذي يصور امتدادا ، ويعكس في الوقت ذاته بقوة إسماعه الأعلى بين الصوائت ، والتي تدرك أبعد الآماد إسماعًا "[1]، إيحاء الإنذار والتحذير .

تمتد هذه المزاوجه بين إيحائي الخفاء والإنذار ، ليستقر إيحاء الصفير المنذر ويعلو حين يلتقي صوت السين بصوت العين ، نظرا لكون العين من الأصوات المجهورة القوية التأثير ، والمميزة في النطق وفي الموسيقى ، فهو من الأصوات ذات الأهمية والجرس الإيقاعي الخاص ، إذ يتميز بالثبات والجهر والقوة ، ليدعم هذا الصوت بجهريته وعلانيته حالة الإنذار ، ويؤدي على صعيد آخر وظيفة المباغته التي قدم لها همس السين .

وجهر هذا الفونيم ينسف جو الرتابة والهدوء والانتظام الذي تسير وفقه سنن الحياة ، فيخلخل الاستقرار ، ويعمل على تصوير أحداث الساعة وعواقبها،لأن العين " ذات قيمة تعبيرية واضحة في تصوير الحركات والأصوات العنيفة " [1].

(١) دراسات في التجويد والأصوات اللغوية ، عبد الحميد محمد أبو سكين :٧٤ ، مطبعة الأمانة ، القاهرة .

قال بعضهم إن المعنى : أكاد أخفيها فلا تظهر البتة ، ولكن لا بد من إظهارها ."أي إن أمر إخفائها قد وصل إلى هذه الدرجة من الشدة " انظر تفسير الطبري :١٦/١٤٩-١٥٠ ، دار الفكر،بيروت، ١٩٨٤م ، والقرطبي :٥/٤٢٢٥ ط دار الشعب .

يوم الآزفة :

أزف معناه : قرب ، و حقيقته لقرب المكان ، واستعير لقرب الزمان لكثرة ما يعاملون الزمان معاملة المكان ... وتأنيث الآزفة بتأويل الوقعة ، أو الحادثة "(٢).

قال أهل اللغة : (تأزف القوم) تدانى بعضهم من بعض ، فيكون بمعنى الجمع أي اقترب ودنا يوم الجمع والحساب .

يقال : " أزف الترحل .. أزفا وأزوفا : دنا ...والآزفة : القيامة . والأزف : محركه الضيق ، وسوء العيش . والمتأزف القصير المتداني ، والمكان الضيق ، والرجل السيئ الخلق الضيق الصدر . التآزف ، الخطو المتقارب . وتآزفوا تدانى بعضهم من بعض "(٣).

سمي يوم القيامة بيوم الآزفة " لأزوفها إذ هو يوم شديد القرب و المفاجأة . ويوم الآزفة أي يوم القيامة التي قد أزفت و قربت ،و آن الوصول إلى قلاقلها وأهوالها و زلازلها .

وعلى ذلك يرتبط السياق اللفظي للآزفة بالحالة التي يكون عليها الخلائق يوم الحساب،تحقيقا لجملة الدلالات في لفظ الآزفة " وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين "[غافر : من الآية ١٨]، فـ"يجوز أن يراد بيوم الآزفة وقت اللحظة

---

(١) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، محمد السيد سليمان العبد : ٧٧ ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، مجلد ٩ ، عدد ٣٦ ، ١٩٨٩ م.

(٢) التحرير والتنوير : ١٥٨/٢٧.

(٣) لسان العرب : ٤/٩ مادة (أزف).

الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها ، فتصلق حناجرهم "[1].

وعلى ذلك ، فالآزفة يجتمع في سياقها أمران : قرب قيام الساعة ، وحال الخلائق حين وقوعها .

" أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة " ، فهي توحي بأن الموعد قد حان وآن عن طريق دلالتها المعجمية ، وتكرار مادتها اللغوية " أزفت الآزفة " ، وعن طريق التعبير عن هذا القرب بصيغة الماضي " أزفت " ، إذ وردت هذه الكناية في " سياق إنذار وتحذير من العذاب والهلاك الذي حل بالأقوام الغابرة ، قوم نوح وعاد وثمود ولوط "[2].

ولهجة التحذير هذه تبرز مع أول أصوات الكلمة ، وهو صوت الهمزة ، إن هذا الصامت بانفجاره القوي وخروجه من أول المخارج الصوتية يهيئ الذهن للتفكر ، ويهيئ السامع بفجاءته ووضوحه السمعي العالي لتدبر المعنى ، والهمزة صوت منفرد بوصفه انفجاري حنجري .

(١) الكناية في القرآن الكريم ، أحمد فتحي رمضان :٢٨٧،(أطروحة للدكتوراه) ، جامعة الموصل : ١٩٩٥م .

(٢) التصوير المجازي– أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن ، إياد عبد الودود عثمان الحمداني : ٨٨ ، سلسلة رسائل جامعية دار الشئون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤ م.

وقوعه في بداية الكلمة بانفجاره القوي المفاجئ اللافت يوحي بعظم الأمر ، وبأنه لا بد من التنبه له ، يدعم إيحاء هذا الصوت المطلق الألف الذي يشكل مع الهمزة مقطعا صوتيا .

أما الزاي فحرف مجهور ، رخو ، مستعل ، مفتح ، صفيري ، فهو بجهريته وصفيره واهتزازه البارز أقدر على تصوير ما يعتري الكون من زلزلة ورجة وشيكة ، كما يوحي صوته بالشدة والفاعلية .

بينما يسفر الفاء عن عواقب ذلك اليوم ، وما يعتري الخلائق جراءه من ضعف ووهن ، وذلك لما يتمتع به صوت " الفاء " من الضعف الشديد ، لأنه صوت احتكاكي ومهموس ومرقق .

وما يحدث من طرد النفس من الصدر عند نطق " الفاء " جعله من أنسب الحروف تعبيرا عن الضيق وإرادة التخلص [1]، فالفاء هنا مناسب لجو عاصف يجلله الضعف والضيق والضجر .

ومن ثم فإذا كان الإيقاع الصوتي للفظ " الساعة " يبرز حالة المباغته بعد الخفاء ، ويكرس تحذيرا هادئا فصاعدا ، ويعكس زمنية وشيكة ، فإن إيحاء " الآزفة " يبدأ بالتحذير من وشك وقوع الساعة ، فيما يكرسه التصعيد الصوتي بالهمزة

(١) " ولو أن الرافض بحث عن تعبير مناسب للرفض ما وجد أفضل من لفظ(أف) بسبب ما فيها من دلالة طبيعية تدعم دلالتها العرفية فهي تدل بجرسها على ما تدل عليه بوصفها " البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية أسلوبية في النص القرآني– تمام حسان : ٣٥٥ ، عالم الكتب ، ١٩٩٣م.

الممتدة مع الألف الجهري ، وينتهي ببيان ما يعتري الناس إذ ذاك من وهن وضيق .

رابعاً : اليوم الآخر/ يوم عقيم :

اليوم الآخر :

الآخر : ضد الأول [١]. وخلافه [٢]. وفي البصائر : الآخر : اسم يقابل به الأول ، موضوع للنهاية ، كما أن مقابله للبداية ، مشتق من أخر يأخر كضرب يضرب ، أخورا ، فهو آخر ... والأخير والأخيرة بمعنى الآخر ، والآخرة ، وآخر الأمر : آخره . أخرى الليالى : آخر الدهر "[٣]، وفي المقاييس " الآخر نقيض المتقدم "[٤]، وإنما سمي يوم القيامة اليوم الآخرلأنه آخر يوم لا يوم بعده سواه ، فإن قال قائل وكيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للآخرة ولا فناء ولا زوال، قيل إن اليوم عند العرب إنما سمي يوما بليلته التي قبله فإذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوما فيوم القيامة يوم لا ليل له بعده .

(اليوم الآخر) في السياق القرآني يجيء مقابلا للدنيا ،و يرد في غضون سياق يطرح أمورا دنيوية،حيث يمكن استجلاء دلالة (اليوم الآخر)عبر القرائن اللفظية في السياق و التي تعمل كعلامات هادية تسقتصى من خلالها الدلالة ، ففي سورة البقرة يقول تعالى: " و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن

(١) لسان العرب : مادة (أخر).

(٢) القاموس المحيط : ٣٤٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: ٨٩/٢ ، القاهرة ١٩٩٢.

(٤) المقاييس : ٤٨.

تنكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله و اليوم الآخر ذلكم أزكى لكم و أطهر و الله يعلم و أنتم لا تعلمون [آية ٢٣٢]، إذ "الإيمان بالله و اليوم الآخر هو الذي يجعل هذه الموعظة تبلغ إلى القلوب . حين تتعلق هذه القلوب بعالم أرحب من هذه الأرض"(١).

ويدفع سياق السباق نحو اليوم الأخر بذكر لفظ الجلالة قبل (اليوم الآخر) " من كان منكم يؤمن بالله و اليوم الآخر" و مثل ذلك ما نعاينه في قوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين . . ."[البقرة : ١٧٧]، إذ قوله تعالى : " ولكن البر من آمن بالله " هو بداية الإيمان ، "و يأتي بعد ذلك بنهاية الإيمان بـ (اليوم الآ خر) ، إن بداية القوس هي الإيمان بالله و طرفه الأخير الإيمان باليوم الآخر"(٢).

الهمزة في " الآخر" صوت انفجاري تستشعر فيه دلالة المفاجأة ، أطلق عليه القدماء اسم (الحرف الجرسي) سميت بذلك لأن الصوت يعلوعند النطق بها ، ولذلك استثقلت في الكلام ، فهي الحرف المصوت به عند النطق وكل الحروف يصوت بها ، عند النطق بها ، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك ... وهذا الصامت المتميز بالوضوح له إثارة سمعية تستدعي تنشيطًا ذهنيًا وتيقظًا فكريًا وله دور مهم في تجسيد جو التهديد.يزيد جرسه وضوحًا موالاته بالمطلق الجهري الشديد الألف ، ذي الامتداد الزمني ، والذي يمنح الصوت اتساعًا ، ويفتح مجال التأمل ، ويثير العاطفة.

(١) في ظلال القرآن : ٢٥٣/٢.

(٢) تفسير الشعراوي : ٢ /٧٣٠.

أما الخاء ، فمخرجه أدنى الحلق ، رخو ، مهموس ، مستعل ، منفتح . توسطه في " آخر " ، وهو المهموس المنفتح الرخو يثير إيحاء بطول اليوم ، لاسيما مع سبقه بحرف المد الألف ، والذي هو أمد الصوائت ، وأعلاها جرسًا .

بينما الراء تجسد الحدث وترجعه بإلحاح على المتلقي ، والراء حرف النذير الذي يصيح بانتظام ، وهو مثل دقات الطبل التي تقرع الآذان ، والراء الساكنة تحمل كل معانى الهول والخطر ، بتكرارها الذي ينتج عن تتابع طرقاتها على اللثة تتابعا سريعا ، كأنه أجراس الإنذار المتكررة التي تدق الأسماع وتزلزل القلوب .

وحرف الراء ليس مجرد فونيم يؤدى وظيفة صوتية فقط ، بل إن صفة التكرارفي الراء ، تدفع إلى الحركة والإحساس والانفعال ، في أجواء نغم موسيقى مفعم بالحركة والإيقاع ، فيأخذ صوت الراء بعدا نفسيا يتماهى مع البعد الفيزيائي للنطق متحدين معا لإنتاج الدلالة .

وعلى ذلك فالبنية الصوتية لليوم الآخر تجسد خطورة هذا اليوم ، وامتداده وتنبه إلىأهواله .

يـــوم عقيم :

أصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر . يقال عقمت مفاصله وداء عقام لا يقبل البرء "[1]، والعقيم من النساء التي لم تلد قط "[2]. واستعمل العقم في كل شئ مقطوع لا دابر له ، لأن العقم هو القطع ، فقيل : الملك عقيم ، لأنه تقطع فيه

(١) المفردات في غريب القرآن : ٣٤٢.

(٢) البحر المحيط : ١٤٠/٨.

الأرحام بالقتل خوفا على الملك "[1] ، والريح العقيم التي ليس فيها رحمة ، ولا تلقح سحاباولا شجرا "[2].

وفي المقاييس : " عقم " العين والقاف والميم أصل واحد يدل على غموض وضيق وشدة . ومن ذلك قولهم حرب عَقام وعُقام : لا يلوي فيها أحد على أحد لشدتها ... ومن الباب قولهم : رجل عقام ، وهو ضيق الخلق "[3]. وفي التحرير والتنوير :" العقيم : المرأة التي لا تلد ، استعير العقيم للمشؤوم ؛ لأنهم يعدون المرأة التي لا تلد مشؤومة"[4].

ويوم القيامة يوم عقيم ؛ لأنه لا يوم بعده ، يقول القرطبي : عذاب يوم عقيم قال الضحاك : عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة ... سمي يوم القيامة عقيما لأنه ليس يعقب بعده يوما مثله "[5]. قيل " ... وإنما وصف بالعقيم لوجوه :

أحدهـا : أنهم لا يرون فيه خيرًا :

وثانيهما : أنه لا ليل فيه فيستمر كاستمرار المرأة على تعطيل الولادة.

وثالثها : أن كل ذات حمل تضع حملها في ذلك اليوم فكيف يحصل الحمل فيه "[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٨/١٦ ، المخصص ، علي بن علي النحوي اللغوي المعروف بابن سيده : ٣٦٠/١-٣٦١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ .

(٢) معاني القرآن ،أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق محمد على الصابوني : ٤٢٨/٤ ،ط١، جامعة أم القرى،مكة المكرمة.

(٣) المقاييس : ٧٥-٧٦ مادة (عقم).

(٤) التحرير والتنوير : ٣٠٨/١٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٤٣٥/١٤.

وعلى ذلك فمن دلالات اليوم العقيم : أنه لا يوم بعده ، ولا ليلة له ، وليس يعقب يوما مثله ، ولا خير فيه ، ولا حمل فيه ، وهو الغامض ، والضيق ، والشديد ، والمشؤوم ، فلا تقتصر دلالة " اليوم العقيم " على كونه اليوم الذي لا يوم بعده ، أى اليوم الأخير ، أو الآخر .

يقول تعالى :" و لا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم "[الحج :٥٥] ، ذلك شأن الذين كفروا مع القرآن كله ... فهم ما يزالون في ريبة من القرآن و شك . ومنشأ هذه الريبة أن قلوبهم لم تخالطها بشاشته فتدرك ما فيه من حقيقة و صدق . ويظل هذا حالهم " حتى يأتيهم عذاب يوم عقيم " بعد قيام الساعة ، ووصف هذا اليوم يلقي ظلا خاصا . فهو يوم لا يعقب .. إنه اليوم الأخير"(٢).

يتناسق ذكر (اليوم العقيم) في السياق مع حالة الشك و الريبة التي استولت على الذين كفروا ؛ إذ يفرض اليوم العقيم دلالة كونه الأخير ، والشاك في الآية ليس لتردده آخرفيذكره (اليوم العقيم)(الأخير) بضرورة الحسم في الأمر والقطع به ، و الوصول به إلى آخره ، حيث يميل السياق بلفظ (العقيم) إلى فرض لون من الحسم لصالح قضية الإيمان في تذكيره بأنه اليوم الأخير . وهو الأخير، كذلك، بما ذكر في سياق السباق من لفظ (الساعة) إذ الساعة مقدمات اليوم وأوائله ، واليوم العقيم عاقبته وآخره .

---

(١) التفسير الكبير : ٥٧/٢٣ . و العقم صفة مشبهة "والظاهر أن الصفة المشبهة على أقسام ...منها ما يفيد الاستمرارنحو ... طويل وقصير و دميم و عقيم " معاني الأبنية : ٦٧.

(٢) في ظلال القرآن : ٢٤٣٦/١٧.

يعزز السياق اللفظي ما في اليوم العقيم من دلالات نفسية وإثارات عاطفية " أو يأتيهم عذاب يوم عقيم" أي أنه عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج وراحة يقال : " ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا و لم تلقح شجرًا ، أو شديدًا لا رحمة فيه ، أو لا مثل له في عظيم أمره"(١). وهي دلالات يدعمها السياق اللفظي بذكر لفظ (عذاب)قبل يوم عقيم ، و ما يشير إليه سياق المقطع بذكر نوع العذاب " والذين كفروا و كذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين" ا[لحج٥٧].

والعين في (عقيم) أقدربجرسها الصوتي على خلق جو الروع والجزع المراد إثارته في اللفظ ، وفيها دلالة العقم إذ تدل على الخلو الباطن ، أو الخلو مطلقا "(٢).

ومع صوت القاف يستمر جو الشدة والهول ، كما أنه يحمل دلالة العقم أيضا ؛ لأن مخرجه سقف الحلق مأخوذ من حكاية قطع الشيء ، ومدلوله القطع والفصل والإبانة .

أما المطلق الياء فيكشف عن حالة الضيق والذل والمهانة التي تعتري الخلق في هذا اليوم ويوحي بانكسارهم ، وفيها دلالة التوجه للداخل ، وكذلك العقم خواؤه داخلي .

بينما يدل الميم على الضيق والسد والانغلاق ، بما يتوافق مع واقعة انطباق الشفة على الشفة عندما تلفظ الميم في نهاية الكلام ، لتدل بعد القاف على مقطوع لا دابر له ، وتوحي بدلالات الألم والحزن والكآبة .

(١) الأساس : ٣٥٨١.

(٢) مقدمة لدرس لغة العرب ، عبد الله العلايلي : ٢١٠-٢١١.

خامسا : يوم عسر /يوم عسير

(عسر) بناء من أبنية الصفة المشبهة مأخوذ من فعله (عسِر – يعسَر) ، وهذا البناء مع بابه يكثر في الصفات العارضة "[1].

ويغلب على معانى هذا البناء (فعِل) أن يكون فيما يكره من أوجاع وعيوب باطنة وشدائد ، قال سيبويه : " وقد بنوا أشياء على فعِل يفعَل فعَلا وهو فعِل ، لتقاربها في المعنى ، وذلك ما تعذر عليك ولم يسهل ، وذلك عسِر يعسَر عَسَرا ، وهو عسِر ، وشكِس يشكَس وهو شكِس ... فلما صارت هذه الأشياء مكروهة عندهم صارت بمنزلة الأوجاع ، وصارت بمنزلة ما رموا به من الأدواء" [2].

أما عسير فهو من باب " عسُر يعسُر " ، وهذا الباب هو باب السجايا والطباع ، والذي يكون فيه " فعيل " من الأوصاف الدالة على الثبوت "[3].

جاء عسر وعسير في البيان القرآني وصفين لليوم الشديد الموقع على الكافرين ، وهو يوم الدين والحساب . " مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ " [القمر :٨] ،" الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ

(١) البهجة الرضية في شرح ألفية ابن مالك ، السيوطي : ١٣١، دار إحياء الكتب العربية ، وشرح الرضي على الشافية : ٧٢/١ ، و معاني الأبنية فى العربية ، فاضل السامرائي : ٧٨-٧٩ . ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط١ ، ١٩٨١م.

(٢) الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه : ٢١/٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ط٣ ، ١٩٨٣ م. ومعاني الأبنية : ٧٨-٨٣.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس : ١٧١ ، علق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسبج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٩٩٧م ، ومعاني الأبنية : ٩٥-٩٦.

عَسِيرًا " [الفرقان :٢١] ، "فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ* فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ " [المدثر :٨-٩] .

تكشف الآيات السابقة عما للسياق من مقتضى وحاكمية على الدلالة؛ إذ يستدعى لفظي :عسر وعسير وفق ما يحمل كل منهما من دلالات يفارق بها الآخر ، إذ لما كان القول في السياق من الكافرين جاء بلفظ "عسِر " كأنه داء تحكم في باطنهم ، وقد يظنون أنه لا يلبث أن يزول ، وذلك عادة الجاحد ؛ إذ تأخذه العزة والغفلة سريعا ، أما ما كان من قول الحق سبحانه ، وهو العليم بيوم البعث وأهواله ، فقد جاء باللفظ الذي يدل على الثبوت ، وأن العسر من صفة ذلك اليوم لا يزول عنه ، كما هو الحال في الآيتين الأخيرتين ، فضلا عن أن دلالة عسير على الثبوت تتفق وعذاب الخلود الدائم المقيم ، لقوله : (ولهم عذاب مقيم) [المائدة: من الآية ٣٧] "[(١)].

ولعل الإيحاء الصوتي والذائقة السمعية أول ما ينوه بهذا التباين ويكشف اختلاف الدلالة بين لفظي عسر وعسير . على الرغم من الاتفاق الصوتي بين الفونيمات الثلاثة : العين ، والسين ، والراء . وهى أصوات تكشف عن أبعاد ثلاثة في الحدث وهي : الظهور والعلانية ، والروع الآخذ بمجامع النفوس ، والتكرار .

فمع العين هذا الصوت الطلق الناصع ضخم الجرس ، المجهور الاحتكاكي الذي يمتد زمنا حين النطق به يعلن عن الحدث ، ويستوحى الشعور بهوله ، هذا الشعور الذي يزيده تمكنا من الباطن ، تضافرا مع الظاهر ، صوت السين الصفيري واضح الأصداء ، والذي يؤثر في الحس والوجدان بهمسه وجرسه الهادئ ، ويثير

(١) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ، محمد ياسر خضر الدوري : ٢٩٢ -٢٩٣ ، (أطروحة للدكتوراه) ، كلية التربية (ابن رشد) ، قسم اللغة العربية ، جامعة بغداد ٢٠٠٥م.

الروع في النفوس ، بما فيه من همس خفي ، يعمق الشعور بوطأة الموقف ، ثم مع الراء الجهوري التكراري ، الذي يتكون بتوالي ضربات اللسان على اللثة تواليا سريعا ، تتحرك الصورة ، ويتكرر الحدث.

وتكرار الحدث بصوت الراء واقع فى عسر وعسير على السواء ، سواء أفضى ذلك – كما اعتقد الكافرون – إلى تكرار مؤقت له غاية وحد ، أو تكرار لا يوقف على نهايته ، كما عكست دلالة عسير ، باحتوائها على المطلق " الياء " الذي يدعم ثبوت الحدث وتكراريته وتواليه .

فهذا المطلق عمل وجوده في " عسير" على فتح دالة الزمن فامتد بالحدث ، بينما غيابه وتعويضه بالحركة القصيرة في " عسر " يدعم ما استقر في روع الكافرين من قصر زمن العسر ، لأنه مع أنصاف الحركات يقصر مدى التراخي والإطالة .

فحرف المد هو صانع الدلالة ، حيث يعمل في " عسير" على منح الدلالة الصوتية وسمًا بالبطء والتثاقل ، لينتشر هذا التثاقل في المساحة الدلالية .

والصائت الياء خاصة يوحي بحدة العلاقة بين الكافرين وهذا اليوم ؛ لأن الياء صائت حاد ، حيث يتضافر طول زمن النطق به وحدته مع أماميته فيوحي بتوجيه كل العسر صوب الكافرين " على الكافرين عسيرا "، بينما تفتح الياء المدية هنا مجال التوجيه نحو الداخل فتصور عمق المعاناة ، استحضارا لحالة انكسار الكافرين وضعفهم وانهزامهم وذلتهم .

وفي حضور الكسرة في " عسر" نظيرا للياء في " عسير " ، ما يدل على هذه الحالات ولكن بدرجة أقل بروزا ، إضافة إلى مافي أصل استخدام أنصاف الحركات من حصر للمجال الزمني .

نتـــائج البحـــث

عبر قراءة سياقية لعدد من نصوص وآيات التنزيل التي وردت فيها ألفاظ القيامة ، تبين الآتى :

١- أن الترادف التام – والذي يعني إمكانية إبدال لفظ مكان آخر مرادفا له – غير قائم في النص القرآني ، بل إنه غير قائم في اللغة العربية على وجه العموم ، وأن كثيرا من الألفاظ التي تعد مترادفات لا سبيل للتطابق التام بينها ، اللهم إلا تقاربا بين بعض سماتها الدلالية ، وهو ما أثبته البحث من خلال دراسة ألفاظ القيامة المقول بترادفها إذ ينفي السياق الدلالي و الصوتي عنها مظنة الترادف .وذلك لأن المعنى المحدد الذي يقتضيه السياق لا يؤدى إلا باللفظ نفسه ، وبنظم صوتي معين لا يسمح بتغير حرف واحد من هذا النظام ، حيث أنزل الله كلماته أمسها رحما بالمعنى ، وأودعها سرها البياني الفريد .ووفق ذلك فقد أثبت البحث أن لدلالة السياق أهمية كبرى في تعليل اختيار الألفاظ .

٢- أن دراسة العلاقات الدلالية والصوتية يكشف مدى تماسك النص القرآني ووجوه تناسبه و ترابطه ، و أن ما يؤدي إلى هذا اللون من التماسك هو السياق اللغوي ،و سياق الحال معا .

٣ -أن دلالة الحركة وإن كان استخدامها في النص القرآني إثارة لجو نفسي ووقع شعوري محدد مرصود ، إلا أن دلالة الحركة وما تنتجه من الصيغ الصوتية المتماثلة تظل رهنا بدلالات الألفاظ في ارتباطها بالسياق منجهة ، وبالصوت اللغوى وما يفرضه من معان ودلالات من جهة أخرى ، مما يعكس خطورة دور السياق .

٤- أنه وفق ما سبق ، يمكن القول بأن دراسة السياق ما ينتجه من ألوان الدلالات الصوتية و اللغوية من أصلح المناهج التطبيقية التي يمكن اعتمادها منطلقا رئيسا في قضية الترادف اللغوي ، حيث لا يدع اختلاف الأصوات و تباين الدلالات بين الألفاظ ، في ارتباطها جميعا بالسياق ، مجالا لادعاء وقوع الترادف اللغوي ، إذ اللغة في ذاتها عبارة عن مجموعة من الأصوات الصادرة من قبل المتكلم ، وتحمل ألفاظها دلالات مختلفة ، فتغير هذه الأصوات و الدلالات لا شك أنه سيؤدي إلى جذب السياق لبعضها دون بعض .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية

١. أساس البلاغة ، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٥م.

٢. الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، حلب ، بيروت ، ط١ ،١٩٨٥م .

٣. الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٧م.

٤. أصول قديمة في شعر جديد ، نبيلة الرزاز اللجمي ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية ، ١٩٩٥م.

٥. إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣، ١٩٧١ م .

٦. البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩١م. .

٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق عبد العليم الطحاوي، القاهرة ، ١٩٩٢م.

٨. البنية الإيقاعية في شعر البحتري ، عمر خليفة بن إدريس ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، ليبيا ، ٢٠٠٣م.

٩. البهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك ، السيوطي ، دار إحياء الكتب العربية .

١٠. البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني– تمام حسان ،عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣ م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ (د.ت).
١٢. التحليل الدلالي ، إجراءاته و مناهجه ، كريم زكي حسين ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
١٣. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين فرج الأنصاري الخزرجيشمس الدين القرطبي ، تحقيق الصاد بن محمد بن إبراهيم ، نشر دار المنهاج ، الرياض ، ط١ .
١٤. الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، ط١ ، ١٩٩٧م.
١٥. الترادف في اللغة ، حاكم مالك الزيادي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠م.
١٦. التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٤ م.
١٧. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ، عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار ، الزرقا ، الأردن، ط١ ،١٩٨٥م.
١٨. التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٦٩ م.
١٩. تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٨٨٤ م .

٢٠. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، محمد الرازي فخر الدين ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨١م.
٢١. التوجيه الأدبى ، طه حسين وآخرون ، المطبعة الأميرية،القاهرة ، ١٩٥٢م.
٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت .
٢٣. جامع البيان لأحكام القرآن ، القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٢م .
٢٤. جدلية السياق و الدلالة في اللغة العربية (النص القرآني أنموذجا) ، سيروان عبد الزهرة الجنابي و حيدر جبار عيدان ، مركز دراسات الكوفة ، العدد التاسع ، ٢٠٠٨ م .
٢٥. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ، محيي الدين شيخ زاده ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٨ م.
٢٦. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م.
٢٧. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد على النجار، دار الهدى ، بيروت ، ط٢، ١٩٥٢م.
٢٨. خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب العربى ،١٩٨٩ م .
٢٩. دراسات في التجويد والأصوات اللغوية ، عبد الحميد محمد أبو سكين ، مطبعة الأمانة ، القاهرة .

٣٠. درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي ، دراسة وتحقيق وتعليق د. محمد مصطفى آيدين ، جامعة أم القرى ، ٢٠٠١م.
٣١. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، وقف على تصحيحه وعلق على حواشيه محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٩٦١ م .
٣٢. رسالة أسباب حدوث الحروف ، أبو علي الحسين بن سينا ، تحقيق محمد حسان الطيان ، ويحيى مير علم ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، (د.ت) .
٣٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٣٤. زاد المسير في علم التفسير ، عبد الحميد بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
٣٥. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس ، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م.
٣٦. الصوت اللغوى في القرآن ، محمد حسين الصغير ، دار المؤرخ العربي، بيروت ، لبنان ، ط١ ،٢٠٠٠م.
٣٧. الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم ، عبد الله محمد فريد ، دار الهلال ومكتبتها ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٨ م.
٣٨. علم الأصوات اللغوية ، منف مهدي الموسوي ، منشورات جامعة السابع من إبريل ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٣ م

٣٩. علم الأصوات وأصوات اللغة العربية ، روعة محمد ناجي ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، ٢٠١٢م.
٤٠. علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة ، الصفاة ، الكويت ، ط١ ،١٩٨٢م.
٤١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، أحمد بن على بن محمد شهاب الدين العسقلاني المصري ، دار المعرفة ، بيروت .
٤٢. فتح القدير للشوكاني ، تحقيق وتخريج الأحاديث سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م.
٤٣. الفروق اللغوية ، أبوهلال العسكري ، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٨م .
٤٤. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط٣٢ ، ٢٠٠٣م.
٤٥. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، الحسين بن محمد الدامغاني ، حققه ورتبه عبدالعزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، إبريل/١٩٨٣ م.
٤٦. القاموس المحيط ، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة ، ط٨ ، ٢٠٠٥م.
٤٧. القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، محمد صابر عبيد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م.
٤٨. القيامة الكبرى ، عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٩٩٠م.

٤٩. الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣ م.
٥٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٩م.
٥١. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر بيروت ، ٢٠١٠ م.
٥٢. اللغة العربية معناها و مبناها ، تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢، ١٩٧٩ م .
٥٣. لغة القرآن الكريم في جزء عم ، محمود أحمد نحلة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م.
٥٤. مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن ، أبو علي الطبرسي ، طبعة العرفان ، صيدا.
٥٥. المدخل إلى علم الأصوات العربية ، غانم قدوري الحمد ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ٢٠٠٤م.
٥٦. مدخل في الصوتيات ، عبد الفتاح إبراهيم ، دار الجنوبي ، تونس .
٥٧. مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط ١٦ ، ٢٠٠٦م.
٥٨. المصباح المنير– معجم عربى للفيومي– دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
٥٩. معانى الأبنية في العربية ، فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط١ ، ١٩٨١م

٦٠. معاني القرآن ، النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل ، تحقيق محمد علىالصابوني ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ط١ .
٦١. المعجزة الكبرى للقرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٧٠ م .
٦٢. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١،٢٠٠١م.
٦٣. المفردات في غريب القرآن الكريم ، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز .
٦٤. مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد ، عبد الله العلايلي ، المطبعة العصرية ، القاهرة ، (د.ت) .
٦٥. من أسرار التعبير في القرآن (صفاء الكلمة) ، عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٨٣م.
٦٦. مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،١٩٨٦م.
٦٧. من روائع القرآن (تأملات علمية و أدبية في كتاب الله) ، محمد سعيدرمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦ م .
٦٨. من وصف القرآن .. يوم الدين والحساب ، شكري محمد عياد ، دار أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع ، ط٣ ، ١٩٩٥م.
٦٩. نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي ، على يونس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ م.

٧٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ثانيا : المراجع المترجمة

١. الأفكار والسلوك(دراسة في الفن الروائي ولغته) ، أ. ب .يشترين ، ترجمه حياة شرارة ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، العراق (د. ت) ، ١٩٨٧ م.
٢. دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمه وقدم له وعلق عليه كمال بشر دار غريب للطبعاعه والنشر ، ط١٢،القاهرة.
٣. فلسفة الجمال ، ترجمة عبد الحميد يونس ، دار الفكر العربي ، بيروت .
٤. اللغة ، فندريس ، ترجمه عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبه الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠م.

ثالثا : الرسائل الجامعية والدوريات

١. أثر المصطلح القرآني في التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم الشرعية د.أحمد حسن فرحات :٤٧ ، بحث منشور في مجلة الأحمدية (مجلة علمية دورية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث) ، دبي ، العدد٢٠، يونيو٢٠٠٥م.
٢. أفعال الحركة الانتقالية الكلية للإنسان في القرآن الكريم : دراسة للماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية ، نابلس – فلسطين ، ٢٠١٠ م.

٣. التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجا) ، مهدي عناد أحمد قبها ، أطروحة للماجستير في اللغة العربية وآدابها ، بكلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين، ٢٠١١م.
٤. التصوير المجازي- أنماطه ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن - ، إياد عبد الودود عثمان الحمداني ، سلسلة رسائل جامعية دار الشئون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤ م.
٥. جماليات الموسيقى في النص القرآني ، كمال أحمد غنيم ، ورائد الداية ، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الإنسانية ، المجلد العشرون ، العدد الثاني ، يونيو ٢٠١٢ م.
٦. الدلالة الإيحائية لصفة الصوت في النص القرآني ، نجيب علي عبد الله السوري ، بحث منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية ، المجلد ١١٨ ، العدد ٣٦ ، عدد خاص ، مارس ٢٠١٣ م ، كلية العلوم الإدارية والإنسانية صنعاء .
٧. دلالة السياق في النص القرآني ، علي حميد خضير ، أطروحة للماجستير ، كلية الآداب و التربية ، الأكاديمية العربية بالدنمارك ، ٢٠١٤ م .
٨. دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ، محمد ياسر خضر الدوري ، (أطروحة للدكتوراه) ، كلية التربية (ابن رشد) ، قسم اللغة العربية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥م.

٩. الصوت والدلالة في شعر الصعاليك (تائية الشنفرى أنموذجا) ، عادل محلو (أطروحة للدكتوراه) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، العام الجامعي ٢٠٠٦/٢٠٠٧م.

١٠. الكناية في القرآن الكريم ، أحمد فتحي رمضان ، (أطروحة للدكتوراه) ، جامعة الموصل ، ١٩٩٥م .

١١. من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، محمد السيد سليمان العبد ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، مجلد ٩ ، عدد ٣٦ ، ١٩٨٩ م.